الباب الثاني

الشعر الجاهلي - مدارسه - أغراضه

الفصل الأول

رواية الشعر - تدوينه - قضية انتحال الشعر الجاهلي

* رواية الشعر الجاهلي ورواته

مـــن الثابت في العصر الجاهلي أن الشعراء كانوا يحافظون علـــي نتاجهم الشعري عن طريق الرواية ويعتمدون عليها ، وكان الشاعر يقف فينشد قصيدته ، ويتلقاها عنه الناس ويروونها .

ومعنـــي ذلـــك أن النهر الكبير الذي فاض بالشعر الجاهلي إنما هو الرواية الشفوية ، وقد ظلت الرواية متبعة أزمانا متتالية في الإسلام، ويدل علي ذلك أقوي الدلالة أن الحديث النبوي ظل في أغلب أحواله يعـــتمد علي الرواية والمشافهة إلي نهاية السنة الأولي للهجرة ، وإذا كـــان الحديث بما له من قدسية لم يعمدوا إلي تدوينه تدويناً عاماً إلا بعد مرور نحو قرن علي الهجرة الشريفة فأولي أن يكونوا قد تبعوا ذلك في الشعر الجاهلي .

ومـــن يرجع إلي شعر الجاهلين يجد شعراءهم يذكرون الرواية وأنها وسيلة انتشار الشعر في القبائل التي كانوا يعرفونها وقد نفذ شعرهم من خلالها إلي أفاق الجزيرة يقول الشاعر :

ندمت علي شتم العشيـــرة بعدمـــا * مضت واستتبت للرواة مذاهـــبه
فأصبحت لا أستطيع دفعا لما مضي * كما لا يرد الدر في الضرع حالبه

فالـــشاعر نـــادم علي هجائه لقومه لأنه شاع في العرب عن طريق الرواة ولم تعد له حيلة في رده .

- فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت هي الأداة الطيعة لنشره وذيوعه من جيل إلي جيل ومن قبيلة إلي أخري .

- وكـــان لكـــل شاعر مشهور راوية أو أكثر يتلقون عنه ، وهؤلاء الـــرواة مـــنهم الـــشعراء الذين تتلمذوا في أول الأمر للشاعر الذي يـــروون عـــنه ويتخذون في نظمهم شعره مقلدين ثم معتمدين علي أنفـــسهم بعـــد أن تكتمل لهم أدوات الفن ، ومنهم أفراد قبيلة الشاعر وذلك لأنه يسجل مناقب قومهم وانتصاراتهم في حروبهم كما يسجل مثالب أعدائهم .

- كل هذا ساعد علي نشر الشعر والحفاظ عليه ، ولهذا كتب للشعر الجاهلـــي أن يظل حياً في وجدان العرب مستقراً في أفكارهم ، كما ســـاعد علـــي كثرة رواية الشعر آنئذ أن العرب كانت تعير من قلت روايته للشعر سواء كان ذلك المقل هو الراوي أو القبيلة ، ومن ذلك مـــا يقوله بعض بني بكر معيراً تغلب لكثرة ترددها لقصيدة واحدة هي معلقة عمرو بن كلثوم ، وكان ليس لها شعر سواها ، يقول :

ألهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كـــان أولهـــم يا للرجال لشعر غير مئثوم

° وكان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعراً يروي عنه ، وما يزال يروي له ولغيره حتي ينفتق لسانه ، ويسيل عليه ينبوع الشعر والفـــن ، ونـــص صاحب كتاب " الأغاني " علي سلسلة من هؤلاء

الشعراء الرواة الذين يأخذ بعضهم عن بعض ، وقد بدأها بأوس بن حجـــر التميمي ، فعنه أخذ الشعر ورواه حتي أجاد نظمه زهير بن أبي سلمي المزني ، وكان لزهير راويتان كعب ابنه ، والحطيئة ، ثم تلقن الشعر عن الحطيئة ورواه هدبة بن خشرم العذري ، وعن هدبة أخذ جميل صاحب بثينة وعن جميل أخذ كثير صاحب عزة .

- نحـــن إذن بـــإزاء مدرســـة تامة من الشعراء الرواة تتسلسل في طبقات أو حلقات ، وكل حلقة تأخذ عن سابقتها وتسلم إلي لاحقتها ، وظلـــت الحـــال كذلك حتي جاء الإسلام ، فلم يقف الإسلام في وجه الشعر بل وجهه وجهة حسنة تخدم الدعوة وتخدم الإنسانية ، ومع أن المسلمين قد أنكبوا علي تلاوة القرآن الكريم إلا أنهم لم يتركوا الشعر طعمـــة للنـــسيان ، فقد كان رسول الله " صلي الله عليه وسلم يحث حسان بن ثابت وغيره من شعراء الأنصار علي هجاء قريش والرد علـــي هجاء شعرائها ، وكان كثيراً ما يستنشد الشعر من الصحابة ، حتـــي شـــعر أعدائه من مثل أمية بن أبي الصلت ، قال الشريد بن سويد الثقفي : " استنشدني النبي صلي الله عليه وسلم " شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته ، فأخذ النبي صلي عليه وسلم يقول : هيه ، هيه حتي أنشدته مائه قافية .

- وكان أبو بكر نسابة راوية للشعر الجاهلي ، وكان يتمثل به أحياناً فـــي خطابـــته وكذلك كان عمر ، وهذا نفسه شأن الصحابة جميعاً ،

ومعنـــي ذلـــك أن روايـــة الشعر الجاهلي كانت مستمرة في صدر الإسلام ، وقد أخذت تظهر عوامل تشد من أزرها وتقوي من شأنها كحاجـــة الـــناس إليه للاستفادة به في معرفة معاني بعض الألفاظ ، ومعـــرفة الأنساب ، كما زادت رواية الشعر عندما اشتدت الحروب بين علي ومعاوية وباقي الأحزاب السياسية .

- كمـــا كـــان رواة فـــي العـــصر الأموي والعباسي يروون الشعر الجاهلـــي بقـــصد نشره في الناس ، وأكثر من هذا نشأت طبقة من الـــرواة المحترفين الذين اتخذوا من رواية الشعر الجاهلي عملاً لهم ومن هؤلاء حماد الراوية ، وخلف الأحمر والمفضل الطبي .

❊مدرستا الرواة

ويقـــصد بمدرســـتي الرواة مجموعة من الشعراء الحضريين الذين احتـــرفوا روايـــة الـــشعر الجاهلي ، وكون هؤلاء الرواة مدرستين متقابلتين :

١) مدرسة في الكوفة ٢) ومدرسة في البصرة

وذلـــك لأنهم عاشوا غالباً في البصرة والكوفة ولم يكونوا يقفون عند روايـــة الـــشعر القـــديم مجردة ، بل كانوا يضيفون إليها كثيراً من الأخـــبار عن الجاهلية وأيامها ، وكانوا يتخذون لأنفسهم حلقات في المـــسجد الجامع يحاضرون فيها الطلاب ، وفي أثناء ذلك يشرحون لهم بعض الألفاظ الغريبة ،أو يفسرون لهم ظروف النص التاريخية .

☜ أما مدرسة الكوفة : فقـد كانت تعرف بعدم تحري الدقة وعدم التشدد في روايتهم ، ولهذا كثرت الأشعار عندهم وتضخمت روايتهم ولم تقتصر هذه التهمة " عدم تحري الدقة " علي رواية الشعر فحسب بل عرف عنها ذلك في الحديث النبوي أيضاً حتي كان مالك بن أنس يـسميها (دار الـضرب) يريد أنها تضرب الأحاديث وتصنعها ، ويقـول أبـو الطـيب اللغـوي : (والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبـصرة ، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلي من لم يقله وذلك بين في دواوينهم)

- وكـان علـي رأس هذه المدرسة في الكوفة حماد الراوية ، وكان متهماً كثير الوضع ولا يوثق بما يرويه ، ويروي عن الهيثم بن عدي أنـه كـان يقول : " ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد " هـذه المعـرفة الواسعة بكلام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها وأيامها جعلتهم يطلقون اسم الراوية علماً عليه ، وكان شاعراً يحسن صوغ الشعر وحوكه ، فكان ينظم علي لسان الجاهليين ما لم ينطقوا بـه وكثر منه ذلك حتي عرف به واشتهر . ويقال إنه مدح بلال بن أبـي بردة المتوفي بعد سنة ١٢٦ بقصيدة وكان ذو الرمة حاضراً ، فقال له : إنها ليست لك ، وسرعان ما اعترف بأنها جاهلية .

يقول الجاحظ : (ومن سوء حظ الكوفة أن كان هذا الراوية البارع فاسد المروءة فاسقاً ماجناً زنديقاً)[1] ومن رواة الكوفة أيضاً المفضل الضبي ، بيد أنه كان يختلف عن حماد فقد كان المفضل ثقة يوثق بروايته ، ومعني ذلك أن رواة الكوفة ليسوا في الجملة متهمين بل كان بينهم من كان يوثق بروايته ويحاط بنسيج من الأمانة والدقة والتحري .

☜ *أما مدرسة البصرة* : فقد كانت تعرف بالدقة والتحري والتشدد وربما رجع ذلك إلي أن رأس رواتها وهو أبو عمرو بن العلاء كان أميناً ، وكان من مؤسسي المدرسة النحوية في البصرة ، وأحد القراء السبعة الذين أخذت عنهم تلاوة الذكر الحكيم ، وكان أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب ، وكانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلي قريب من السقف ... ثم إنه تنسك فأحرقها ، وهذا الإحراق لا يغير من الأمر شيئاً فإن ما رواه حمله عنه تلاميذه البصريون وكان أمامهم وقدوتهم ، ويحكي عنه أنه قال : " ما زدت في شعر العرب إلا بيتاً واحداً ، يعني ما يروي للأعشى من قوله :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعا

---

[1] الحيوان جـ ٤ صـ ٤٤٧ .

- ومـــن رواة البصرة أيضاً خلف الأحمر ، ولم يكن يقل عن حماد في معرفته بأشعار العرب وأخبارهم بل لعله يتقدمه . ومنهم أيضاً الأصـــمعي الـــذي أشاد معاصروه ومن تلاهم بسعة علمه بالجاهلية وأشعارها وأخبارها ، وقالوا عنه أنه ثقة عدل .

- وجـــاء بعـــد من قدمنا تلاميذ لهم من رواة القرن الثالث ، وعلي رأســـهم أبو عمرو الشيباني ، وابن الأعربي الكوفيان ، ومحمد بن حبـــيب ، وابن السكيت ، وثعلب ، وانتهت الرواية في البصرة إلي أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري .

- ويتـــضح من كل ما سبق أن رواية الشعر الجاهلي أحيطت بكثير مـــن التحقيق والتمحيص - وإن كان رواة متهمون - فقد كان لهم العلماء الأثبات بالمرصاد أمثال المفضل الكوفي والأصمعي البصري .

- فلـــنهمل إذن مـــن الـــشعر الجاهلي ما جاءنا منه عن أمثال حماد وخلـــف الأحمـــر وكذلك ما جاءنا منه عن طريق أصحاب الأخبار المتـــزيدين أمثال محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام . أما ما اتفق عليه أو جاءنا عن الأثبات الثقات فينبغي أن نقبله .

❋ تدوين الشعر الجاهلي

لم يدون العرب أشعارهم في الجاهلية ، ودليل ذلك أننا لا نجد راوياً ثقة يزعم أنه نقل عن قراطيس كانت مكتوبة في الجاهلية ، كما أننا لا نجد راوياً ثقة يزعم أن شاعراً في الجاهلية ألقي قصيدته من صحيفة مدونة إنما كانوا ينشدون شعرهم إنشاداً ، ومن كان منهم يعد قصيدته في عام أو أقل من عام كان يعدها في نفسه ويرددها في ذاكرته . ثم ينشدها ويحملها الناس عنه . وظل هذا شأن العرب في صدر الإسلام ، فهم لا يدونون شيئاً غير القرآن الكريم حتى لا يختلط به ما ليس منه .

- ثم بعد فترة أخذت فكرة التدوين تسلك طريقها في تسجيل غزوات الرسول وأحاديثه وفي تقييد بعض الأخبار التاريخية ، وكان الذين يدونون الموضوعات الإسلامية كالمغازي والسير يعرضون لذكر العرب الجاهليين ، والأنساب ، ويستشهدون علي ما يقولون بالشعر الجاهلي .

ثم دون بعد ذلك الشعر الجاهلي والإسلامي وكان في حقبة متأخرة من عصر بني أمية ، وأخذت حركة التدوين تنمو حتي بلغت مبلغها من القوة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري .

- ويظهر أنهم لم يكونوا يدونون أشعار شعرائهم وحدها ، بل كانوا يدونون معها أخبارهم ، وإن صحت هذه الأخبار كانت دليلاً علي أنه

أخذت تظهر مع أوائل القرن الثاني مدونات تاريخية للقبائل ، لعلها هي التي أعدت فيما بعد لتدوين الرواة أشعار كل منها علي حده .

وإذا كان الرواة الأولون لم يدونوا ما رووه لطلابهم ، فإن الرواة التالين لهؤلاء الرواة المتقدمين هم الذين يرجع الفضل إليهم في تدوين الشعر الجاهلي تدونياً منهجياً قائماً علي التوثيق والتخريج ، وعلي رأسهم الأصمعي ، وقد حصر اهتمامه في جمع الشعر الجاهلي في دواوين ومجموعات صحيحة ، وكان هؤلاء الرواة المدونون لا يكتفون بالسماع من أغلب الرواة السابقين ، فكانوا يرحلون إلي الصحراء ليتوثقوا مما يروونه على نحو ما هو معروف عن الأصمعي نفسه ، وعن أبى عمرو الشيباني ، ثم أخذت موجة من هذا التدوين تتسع اتساعا شديدا حتى أن الناظر في هذا النشاط لا يكاد يبلغ حصره وعده عدد الكتب التي ألفت ودونت في ذلك .

❁ مصادر الشعر الجاهلي

ظل الشعر الجاهلي – كما سبق – يتناقل عن طريق الرواية الشفهية فتـــرة ليـــست بالقليلة ، حتى جاءت مجموعة من الرواة المخلصين أخذوا على عاتقهم تحقيق هذا الشعر وتمحيصه وتخليصه مما ليس منه ثم تدوينه . وكان لابد لهذا الشعر المدون من التوثيق ، والتوثيق يأتي من مصادر متعددة .

ومن أشهر وأهم المصادر التي اعتمد عليها الشعر الجاهلي :

١) المصدر الأول : المعلقات

وهـــي قـــصائد يزعم جمهور المؤرخين أن العرب اختارتها فكتبتها بمـــاء الـــذهب على القباطي (نوع من القماش) ثم علقتها بالكعبة إعجابا بها و إشادة بذكرها وقد بقي بعضاً منها حتى يوم فتح مكة ، وذهب بالبعض الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام .

و أصـــحابها هم امرؤ القيس ، و زهير بن أبى سلمى ، و طرفة بن العـــبد ، و لبـــيد بن ربيعة ، و عنترة بن شداد وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة .

– ومن الناس من ينكر تعليقها على الكعبة ويقول أنها سميت معلقات لنفاستها أخذاً من كلمة " العلق " بمعنى النفيس وهو كلام كما يقول الزيات بغير دليل قائم ولا حجة مقنعة ، ويقول: إن تعليق الصحائف الخطيرة على الكعبة كان سنة في الجاهلية بقى أثرها في الإسلام .

فمـــن ذلك تعليق قريش الصحيفة التي قاطعوا بها بني هاشم وعبد المطلـــب لحمايـــتهم الرســـول " صلي الله عليه وسلم " ، كما علق الرشيد عهده بالخلافة من بعده إلى ولديه الأمين فالمأمون ..... الخ وقـــد عنى الشراح بهذه القصائد " المعلقات " فشروحها مراراً ومن ذلك " شرح الزوزني " ثم " شرح التبريزي " .

٢) المصدر الثاني : المنتخات الشعرية العامة

وهي مجموعة من الكتب الشعرية جمعها أصحابها لشعراء آخرين ، و اتخذوا من هذا الانتقاء والانتخاب منهاجاً لهم .

وكانوا ينتقون المقطوعات والقصائد الشعرية التي تروق لذوقهم هم . ومن هذه الاختيارات :

أ) *المفـــضليات :* وســـميت بـــذلك نسبة إلى جامعها وهو " المفضل الـــضبي " راوي الكـــوفة الثقة . وهي مائة وستة وعشرون قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ ، وقد تزيد وتنقص وتـــتقدم القصائد و تتأخر بحسب الرواية عن المفضل ، وقد جمعها صاحبها لتثقيف المهدي بن الخليفة العباسي أبى جعفر المنصور حين عهد إليه بذلك .

ب) *الأصـــمعيات :* وسميت بذلك نسبة إلى راويها " الأصمعي " وقد بلـــغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين ، وهي موزعة على ٧١ شـــاعراً ، ولم يتعلق بها الشراح كالمفضليات لأن الأصمعي لم يرو كثيراً من القصائد كاملة بل اكتفى بمختارات منها .

ج) جمهرة أشعار العرب : " لأبي زيد محمد بن أبى الخطاب القرشي " وتضم هذه الجمهرة تسعاً وأربعين قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام في كل قسم سبع قصائد : القسم الأول خاص بالمعلقات . والقسم الثاني : المجمهرات وهي قصائد لبعض الشعراء منهم أمية بن أبى الصلة و عبيد بن الأبرص والقسم الثالث : المنتقيات أي المختارات ، القسم الرابع : المذهبات وربما سميت بذلك لأنها استحقت أن تكتب بالذهب وهي لشعراء من الأنصار جاهليين ومخضرمين ، القسم الخامس : عيون المراثي القسم السادس : المشوبات وهي لمخضرمين شابهم الكفر والإسلام القسم السابع : الملحمات وجميعها لشعراء إسلاميين .

(د) مختارات ابن الشجري : وهي مختارات من شعر جاهلي وإسلامي نسبت لابن الشجري واسمه هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني . وهذه المختارات موزعة علي ثلاثة أقسام . الأول لشعراء منهم الشنفري وطرفة ولقيط الإيادي والمتلمس ، والثاني مختارات من دواوين زهير وبشر بن أبي حازم وعبيد بن الأبرص، والثالث مختارات من ديوان الحطيئة .

هـ) دواوين الحماسة : وأشهرها ديوان الحماسة لأبي تمام ، وقد شرح هذا الديوان مرات عدة وحماسته موزعة علي عشرة أبواب أكبرها باب الحماسة لذا سميت بهذا الاسم ، ومنها أيضا حماسة

البحتري وهي مقطوعات قصيرة موزعة علي مائة وأربعة وسبعين بابا أكثرها في نزعات خلقية ولم يهتم القدماء بشرحها .

ولابـــن الشجري حماسة أغلب أشعارها منتخب من الشعر الجاهلي وهناك الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري.

٣ـ المصدر الثالث : الدواوين

وهي نوعان

(أ) دواويـــن مفـــردة : وهـــي لشعراء جاهليين منهم : امرئ القيس و النابغة و زهير و طرفة وعنترة وعلقمة وعلي الرغم من طبع هذه الدواوين ونشرها أكثر من مرة فإن هناك دواوين مخطوطة لم تنشر.

(ب) دواوين القبائل : وهي التي جمع منها أبو عمر إسحاق بن مرار الـــشيباني نيفاً وثمانين قبيلة فقدت جميعها ولم يبق منها إلا قطع من ديـــوان هـــذيل نشرت في خمس مجموعات . أربع منها في أوروبا والخامسة نشرتها دار الكتب المصرية .

٤) المصدر الرابع : كتب التراث

ومـــن أهـــم هذه الكتب التي اشتملت علي شعر جاهلي كثير " شرح الـــنقائض " لأبي عبيدة ، و" الكامل " لابن الأثير ، و" العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي .

ومـــن الكـــتب الجـــيدة أيضا : طبقات الشعراء لابن سلام ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد .

وهناك أشعار جاهلية كثيرة في كتب النقد مثل " نقد الشعر " لقدامة ابن جعفر ، و" الصاعتين" لأبي هلال العسكري ، و" الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي الجرجاني ، و" العمدة " لابن رشيق .

ومن الكتب التي احتفظت بكثير من الأشعار والتراجم والأخبار كتاب " الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني ، و كتاب " خزانة الأدب " للبغدادي وهو شرح علي شواهد الرضي شارح كتاب الكافية لابن الحاجب وفيه تراجم دقيقة لبعض الجاهليين .

❋ قضية الانتحال في الشعر الجاهلي

قضية الانتحال في الشعر الجاهلي ظاهرة غير منكورة ، فقد دخل فيه ما ليس منه وقد أشار إلي ذلك العلماء والرواة ، وحاولوا جهدهم إبعـــاد المزيف والتنبيه عليه ، وتمييز المنحول من غيره ، وبلغ من حرصـــهم علي ذلك إهمال الرواة الوضاعين أو النحالين ، فقد كان الضبي والأصمعي وغيرهم لهؤلاء بالمرصاد .

– وكـــان مـــن أوائـــل الكتب التي أسهبت في هذا الموضوع كتاب " طبقات فحول الشعراء " لابن سلام الجمحي وقد أثار ابن سلام تلك المـــشكلة وردها إلي ***عاملين : عامل القبائل التي كانت تتزيد في شعرها لتتزيد في مناقبها ، وعامل الرواة الوضاعين .***

– وقـــد لفتت هذه القضية – قضية انتحال الشعر الجاهلي – أنظار الباحثين المحدثين من المستشرفين والعرب وبدأ النظر فيها " نولدكه" إلا أن بعـــض المستـــشرفين من النصاري واليهود الذين ظهروا في القـــرن الـــسابع عشر الميلادي وما بعده وتخصصوا في الدراسات العربية الإسلامية لأهداف استعمارية قد ساقوا قولاً يهدفون منه هدم الـــشعر الجاهلـــي عن طريق إثارة الشكوك حوله والإتيان عليه من أساســـه ، فـــزعموا أنه منحول ومكذوب ، وما نظم إلا في العصور الإســـلامية نحلـــه الوضـــاعون المزيفون لشعراء جاهلين لسبب من أســـباب الوضـــع والانتحال أو ربما راق لهم ذلك إذ وجدوا فيه ما يقربهم من أهدافهم الخبيثة .

- وعلـــي رأس هـــؤلاء المستشرفين " مرجليوث " الذي زعم أن الـــشعر الجاهلـــي مدسوس مكذوب علي الشعراء الجاهليين صنعه الـــرواة الوضـــاعون من الإسلاميين أمثال حماد ، وجناد ، وخلف الأحمر .

- وقـــد ردد هذا الرأي من الأدباء العرب الدكتور / طه حسين الذي درس القـــضية دراســـة مستفيضة في كتابه " الشعر الجاهلي " الذي أحدث به رجة عنيفة أثارت كثيرين من المحافظين والباحثين فتصدوا للرد عليه ، ولم يلبث أن ألف كتابه " في الأدب الجاهلي " الذي نشره فـــي ســـنة ١٩٢٧ وفـــيه بـــسط القول في القضية بسطاً أكثر سعة وتفصيلاً .

- وقد ردد الدكتور طه حسين ما ساقه مرجليوث مما يزعم أنها تقوم أدلة علي ما يقول وهذه بعضها بإيجاز :

١) يقـــول مـــرجليوث ومن بعده طه حسين أن الشعر الجاهلي فيه إشـــارات إلـــي قـــصص ديني ورد في القرآن الكريم ليوم الحساب والقيامة والغيب .... وما ظهر من نقوش فيها ذكر للآلهة وما يتصل بالعـــبادة فـــي الجاهلية بينما لا يوجد مثل ذلك في الشعر الجاهلي ، وبمعنـــي آخـــر الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية عندهم فهو لا يمثل الجاهليين الوثنين ولا من تنصروا منهم ، فأصحابه مسلمون لا يعرفون التثليث المسيحي ولا الآلهة المتعددة .

كمـــا يزعم أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الاقتصادية والسياسية لدي عرب الجاهلية .

٢) يزعم طه حسين ومن قبله مرجليوث أن الاختلاف في اللغة بين القـــبائل واضح ، فقبائل الشمال تختلف في لغتها عن قبائل الجنوب فـــضلاً عـــن اختلافها فيما بينها سواء في الشمال وحده أو الجنوب وحـــده وأن الـــشعر كله جاء بلغة واحدة هي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها في العرب ، ويقولان لو أن هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية .

☜ الرد عليهم :

هـــذه الأمور السابقة التي زعموها أدلة وبراهينا علي الانتحال تسقط واحدة واحدة إذا عرفنا ما يلي :

١) أن الحـــياة الدينـــية في الجزيرة العربية كانت خليطاً من الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية والحنيفية وعبادة الكواكب ، وماذا عسي أن يقول يهودي لنصراني أو وثني لصابئ ، فلم يكن لهم دين قـــوي يظهر في عقيدتهم كما حدث في الإسلام ، ثم إن الشاعر في الجاهلية كان عليه أن ينقي لغته مما لا يقبله غيره خاصة في العقائد

- ثـــم إن الـــشعراء الذين وصلت إلينا أخبارهم - علي قلتهم - لم يـــصلنا مـــن أشعارهم إلا بعضها ، وضاع سائرها في أثناء الفتوح الإســـلامية وذلـــك لأن الـــناس انشغلوا عن رواية الشعر بالإسلام

والحرب ، وقد يكون الشعر الديني حظي بالضياع لعدم تدوينه ، أو لعل الرواة سكتوا عنه هذه الأشعار لأنها وثنية والإسلام يجب ما قبله .

ويضاف إلي ما تقدم من أسباب ندرة هذا اللون من الشعر أنه كان يصدر من الشاعر لقبيلته ، أو يكون علي هيئة حديث نفسي يصور عاطفة الشاعر نحو دينه ، ولو سمع هذا الشعر كثير من الناس لحفظوه وعملوا علي إذاعته .

- ومع كل هذا فلم يخل الشعر الجاهلي من تصوير بعض مظاهر الحياة الدينية عندهم فهذا زهير يقول :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنوه من قريش وجرهم

وهذا امرؤ القيس الذي قال حين استقسم بالأزلام عند (ذي الخلصة) ليقدم علي الحرب بالأخذ بثأر أبيه فنهاه القدح فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا

وهو القائل :

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها

روى بها من قحول الأرض أيباساً

- وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سمع شعر أمية بن أبـــى الصلت قال " ذاك رجل آمن بلسانه وكفر بقلبه " وقد عارض هـــذا الـــرجل رسول الله بعد أن جاء الإسلام حسداً ، وقال لما ظهر الرسول إنما كنت أرجو أن أكونه .

ومن أشعاره التي تعبر عن عقيدته وعقيدة قبيلته :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء أعلى منك مجداً وأمجدا

- فلم هذا التجاهل من المستشرقين وغيرهم .

وأما أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الاقتصادية فهذا تعسف منهم ، فلقـــد اتـــصل الـــشعر الجاهلي بالحياة الاقتصادية ، هذه الحياة التي ارتـــبطت بحـــس الشاعر ، وكيف لا وهي التي تساعد المرء علي الحياة الكريمة فضلاً عن أنها تساعده علي الحفاظ علي نفسه وآله ، وتـــسهل لـــه الأمور الكثيرة في الحياة . فهذا طرفة بن العبد يسرف ماله ويهلكه في الخمر حتي افتقر وتحامته العشيرة يقول :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلي أن تحامتني العشيرة كلهـــا وأفردت إفراد البعيـــر المعـــبد

- وهذا عروة بن الورد يقول :

دعيني للغني أسعي فإني رأيت الناس شرهم الفقير

- ثم أن سبيل الحياة الاقتصادية بالعقل والفكر والتدبير وهي بعيدة عـن العاطفـة ، وإذا كانت الحياة الاقتصادية قوامها الناقة والخيل والأبقار الوحشية فقد وصف ذلك كثير من الشعراء كامرئ القيس ، وزهير وغيرهما ويذكر الشاعر الجاهلي بعض ما استقر عندهم من أمور اقتصادية فيقول :

وإذا شربـت فإننـي مستهلـك مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصد عند ندي وكما علمت شمائلي وتكرمي

- وإذا انتقلـنا إلي الحياة السياسية وقول المستشرقين ومن لف لفهم فيها ، فإننا نجد أنه يحق لنا أن نعجب أشعر العجب فالشعر الجاهلي معظمـه يصف حياة العرب السياسية كوصف الحروب والصراعات والوقائـع والأيـام ، ومن ذلك ما جاء في شعر عنترة ، وعمرو بن كلـثوم وأشعار امرئ القيس التي قالها وهو بصدد الأخذ بثأر أبيه ، وأشـعار المهلهـل وزهيـر بن أبي سلمي ، وكتاب أيام العرب في الجاهلية مملؤ بهذه الأخبار والأشعار ، ونجد ذلك في معلقات بعض الـشعراء الـسابقين ، وكل هذا الشعر يمثل جوانب من حياة العرب الـسياسية في الجاهلية . من ذلك أبيات زهير في معلقته التي صور فيها فظائع الحرب وويلاتها وأشاد بصنيع السيدين اللذين أصلحا بين المتحاربين من عبس وذبيان وتحملا ديات القتلي يقول :

سعي ساعياً غيظ بن مـــرة بعدمـــا تبزل ما بين العشيـــرة بالـــدم
تداركتما عبســاً وذبـــيان بعـــدمـــا تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلنا أن نـــدرك السلـــم واسعـــاً بمال ومعروف من الأمر نسلـــم
فأصبحتما منها علي خيـــر موطـــن بعيدين فيها من عقوق ومأثـــم

٢) أما ما قاله المستشرقون من الناحية اللغوية وأن الشعر جاء بلغة واحـــدة ولا يمـــثل أكثـــر لغـــات العرب في الشمال أو في الجنوب واســـتدلالهم بقـــول أبي عمرو بن العلاء (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا)

ففـــيما قالـــوه تجاهل للهجرات اليمنية إلي الشمال والعكس ، ثم إن اللغـــات العربية كان بينها تفاعل وتقارب ومن أراد من الشعراء أن يظـــل شـــعره خالداً كان ينظمه بلغة يفهمها من يسمعون أشعاره في أســـواق العرب التي تقام ، وغير هذا وذاك لقد ظهر أثر التغاير في اللغـــة واللهجـــات في قلة من الأشعار ومن ذلك ما ذكر في كلامنا الـــسابق عـــن بعـــض اللهجات عند العرب كالعجعجة ، والكشكشة والعنعنة ..... إلخ .

وضـــح إذن أن في الشعر الجاهلي منتحل لا سبيل إلي قبوله ، وفيه موثوق به ، وهو علي درجات ؛ منه ما أجمع عليه الرواة ، ومنه ما رواه ثقات لا شك في ثقتهم وأمانتهم ، وقد يغلب المنتحل الموثوق به

ولكـــن ذلـــك لا يخرج بنا عن إبطال الشعر الجاهلي عامة ، وإنما يدفعـــنا إلي بحثه وتمحيصه مهتدين بما يقدم لنا الرواة الأثبات من أضواء تكشف الطريق .

الفصل الثاني

أنواع الشعر الجاهلي ، واللون السائد فيه

* ألوان الشعر الجاهلي

يقسم النقاد أنواع الشعر في الآداب العالمية منذ عصر الإغريق القدماء إلى أربعة اقتسام :

١- شعر قصصي ٢- شعر تعليمي ٣- شعر غنائي

٤- شعر تمثيلي

١) فالشعر القصصي : هو الذي يتناول فيه الشاعر حدثاً واقعياً أو خيالياً فيصور جوانبه وشخصياته ، ويلتزم فيه الشاعر الحيدة ، فلا يقحم فيه مشاعره وأهواءه ، وما هو حينئذ إلا قاص أو حاك بأسلوبه هو فقط ، فهو إذن يعني قبل كل شيء بتصوير الأحداث الكبرى وسرد مظاهر البطولة .

ويمتاز هذا اللون من الشعر بأن قصائده طويلة ، فالقصيدة منه تمتد إلى آلاف الأبيات ، وتتوالى فيها حلقات من الأحداث تنعقد حول بطل كبير وبعض الأبطال الثانويين من حوله ، والقصيدة في هذا الوضع قصة إلا أنها كتبت شعراً ، يراعى فيها التسلسل القصصي والانتقال المحكم بين أجزائها ويغلب عليها الخيال لذلك كانت تكثر فيها الأساطير والأمور الخارقة ، وتظهر فيها الآلهة وخصوصاً عند الإغريق ومن ذلك :

الإلـــياذة لهوميـــروس " وهـــو إغريقي " ، الإنياذة لفرجيل " وهو رومـــي " والـــشهنامة للفردوســـي " وهو فارسي " وهذا اللون من الشعر لم يعرفه الجاهليون بهذه الكيفية .

٢) ***والـشعر التعليمـــي :*** وهـــو الـــذي ينظم فيه الشاعر طائفة من المعـــارف علـــى نحـــو معـــين مبيـــنا قواعدها وأصولها وأمثلتها وأحكامها ..... الخ

ومـــثال ذلك قصيدة " الأعمال والأيام " للشاعر اليوناني هزيود التي يصور فيها فصول السنة ، والحياة الريفية ، وقصيدة " فن الشعر " للـــشاعر الروماني هوراس التي نظمها في قواعد الشعر ونقده ، ولم تعرف الجاهلية هذا اللون من الشعر أيضاً .

٣) ***أما الشعر التمثيلي أو المسرحي :*** فهو شعر قصصي يعتمد على مسرح وعلى حركة وعمل معقد وحوار طويل بين الأشخاص يتخلله مـــشاهد ومناظر مختلفة تتضح من خلالها المواقف وتظهر جوانب القصة .

وكـــذلك لم تعرف الجاهلية ولا الجاهليون هذا اللون من الشعر لأن المسرح يتطلب تجمع واستقرار ، والعرب قبائل رحل لا استقرار لها ولا مجـــتمع ثابت عندهم ، كما أنهم كانوا يستنكفون أن يقلد الرجل شخصية رجل غيره .

٤) لم يبق إلا النوع الرابع والأخير وهو الشعر الغنائي :

وهو الذي يصدر عن النفس لتتغنى به في خلوتها ووحشتها ، وتجد فيه متنفساً لآلامها وآمالها ، فالشاعر يصور في هذا النوع من الشعر عواطفه وخواطره وخلجات نفسه وشعوره الداخلي سواء فيما يتعلق بالطبيعة وما ورائها أو الحب أو الدين أو الوطنية أو كل ما يجيش في النفوس . وهذا النوع هو الذي شاع وانتشر في الشعر الجاهلي .

- ونحن لا نبعد حين نزعم أن الشعر الجاهلي جمعيه غنائي ، إذ يماثل الشعر الغنائي الغربي من حيث أنه ذاتي يصور نفسية الفرد وما يختلجه من عواطف وأحاسيس ، سواء حين يتحمس الشاعر ويفخر أو حين يمدح ويهجو أو حين يتغزل أو يرثى أو حين يعتذر أو يعاتب ، أو حين يصف أي شيء مما ينبت حوله في جزيرته .

وليس هذا فحسب ، فهو يماثل الأصول اليونانية للشعر الغنائي الغربي من حيث أنه كان يغني غناء ، ويظهر أن الشعراء أنفسهم كانوا يغنون فيه ، فهم يروون أن المهلهل غنى في قصيدته :

طفلة ما ابنة المحلل بيضا ء لعوب لذيذة في العناق

ومعنى ذلك أن الشعر الجاهلي ارتبط بالغناء عند أقدم شعرائه [١]

---

[١] العصر الجاهلي / شوقي ضيف صـ١٩٠ .

ومـــن حين إلى حين نجد أبا الفرج الأصفهاني يشير إلى أن شاعراً جاهليا تغنى ببعض شعره مثل السليك بن السلكة ، وعلقمة بن عبدة الفحـــل ، والأعشى وكان يوقع شعره على الآلة الموسيقية المعروفة باسم " الصنج " ولعله من أجل ذلك سمي " صناجة العرب " .

ويقول أبو النجم في وصف قينة :

تغنى فـــإن اليـــوم يوم مـــن الصبـــا

ببعض الذي غنى امرؤ القيس أو عمرو

ويقول حسان :

تغن بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

فالغـــناء كان أساس تعلم الشعر عندهم ، ولعلهم من أجل ذلك عبروا عنه بالإنشاد ، ومنه الحداء الذي كانوا يحدون به في أسفارهم وراء إبلهم وكان غناء شعبيا عاماً .

ويقتـــرن هـــذا الـــشعر المغني عندهم بذكر أدوات موسيقية مختلفة كالمزهر والدف والصنج .

وكانت نساؤهم يؤلفن ما يشبه الجوقة التي تقف وتردد خلف المغني الآن ويتغنـــين فـــي حفلاتهـــم لاعبات على المزاهر ، ففي الطبري والأغانـــي أن هنداً بنت عتبة ، ونسوة من قريش كن يضربن على الدفـــوف في غزوة أحد وكانت هند تغني في تضاعيف هذا العزف بمقطوعات على شاكلة قولها :

إن تقلبوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

- ومعنى كل ما سبق أن الشعر في الجاهلية كان يصحب بالغناء والموسيقى فهو شعر غنائي تام ، نظم في جو غنائي مشبه لنفس الجو الذي نظم فيه اليونان شعرهم الغنائي .

- ونحن إذا رجعنا إلى هذا الشعر الجاهلي وجدنا بقايا الغناء والموسيقى ظاهرة بينة ، ولعل القافية هي أهم هذه البقايا التي احتفظ بها ، وقبلها التصريع في مطالع القصائد ، وما كان يعمد إليه الشعراء أحياناً من تقطيع صوتي لأبياتهم على شاكلة قول امرئ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقول لبيد في مستهل معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها

بمني تأبد غولها فرجامها

ولا نشك في أن صور الأوزان المتنوعة التي يمتاز بها الشعر الجاهلي إنما حدثت بتأثير هذا الغناء .

الخلاصة : أن الشعر الجاهلي لم يعرف الأنواع الثالثة الأولي من الشعر ، وهي الشعر القصصي والشعر التعليمي والشعر التمثيلي

وإن وجد فيه بعض الشعر القصصي الذي يصور بعض جوانب الحياة الاجتماعية والعاطفية ويصفها إلا أنه لم يكن يصف أحداثاً عظاماً ولا يذكر آلهة ولا يستوحيها أو يستلهما في بطولات علي نحو ما كان عند الإغريق لذا كان القصص العربي في الشعر الجاهلي يناسب البيئة العربية ويخالف الملاحم الطويلة المعروفة لذلك قلنا أن الشعر القصصي غير موجود عند الجاهليين .

- ولعل هذه الأنواع الثلاثة لم توجد في الشعر الجاهلي لأن شعرهم منظومات قصيرة قلماً تتجاوز مائة بيت ، كذلك فإن الشعر الجاهلي شعر ذاتي يمثل صاحبه وأهواءه ، علي حين أن الضروب الثلاثة الأولي جميعاً تستدعي الموضوعية لا الذاتية ، فالشاعر فيها لا يتحدث عن مشاعره وأحاسيسه إنما يتحدث عن أشياء خارجة عنه ، سواء حين يقص أو حين يعلم ، أو حين يمثل ، فهو في كل ذلك يغفل نفسه ولا يقف عندها ، إنما يقف عند جانب قصصي تاريخي يحكيه أو علمي تهذيبي يرويه أو تمثيلي مسرحي يؤديه متجرداً عن شخصه وما يتصل بذاته وأهوائه وعواطفه .

الفصل الثالث

خصائص الشعر الجاهلي

- في الألفاظ والأساليب
- في المعاني والأخيلة
- في الأغراض الشعرية
- منهج القصيدة الجاهلية

خصائص الشعر الجاهلي

أولاً : في الألفاظ والأساليب :

من أهم ما يلاحظ علي الشعر الجاهلي من الناحية اللفظية والأسلوبية من خصائص :

١- إحكام الصياغة ، وتمام التراكيب وضبطها ضبطاً دقيقاً بحيث لا يكون فيها قصور ولا عجز في تأدية معانيها ومدلولاتها .

٢- الفصاحة والسلامة والبعد عن اللحن والركاكة والضعف بأنواعه .

٣- الاستعانة بطائفة من المحسنات البلاغية اللفظية والمعنوية بغرض التأثير في من سامعيهم ومن هذه المحسنات : التشبيه الاستعارة بفرعيها ، الجناس ، الطباق ..... إلخ

٤- قوة الألفاظ وسلامة الأسلوب من التكلف والصنعة والقصد إلي التعبير الحقيقي ، والخيال الطريف .

ثانياً : في المعاني والأخلية .

١- القرب والوضوح والبساطة ، والبعد عن التكلف والتعمق والإغراق في الخيال والبعد كذلك عن المبالغة التي قد تخرج بالمعني عند الحدود المعتدلة .

٢- الـــصدق في التعبير ، ونقل الأشياء المحيطة نقلاً أميناً يبقي علي حقيقتها وعدم الجنوح بالخيال بما يخرج الشيئ ويحيله عن حقيقـــته ، فتـــري الشاعر في الجاهلية يعترف بهزيمة قومه إن هـــزموا ، وبإدبـــاره إن أدبـــر ، فالشعراء الجاهليون لا يبدلون الحقائق غالباً .

٣- الدقـــة فـــي تصوير البيئة وما فيها تصويراً أميناً بعيداً عن المبالغة والمغالاة حتي أصبح شعر الجاهليين ويثقة قيمة تعكس ما كان في البيئة الجاهلية .

٤- الخـــيال عـــند الـــبدوي إنما يأتي لتوضيح المعاني وكشفها وتجـــسيمها وتشخيصها ، وهذه النزعة جعلت الجاهلي بعيداً عن العمـــق والتحلـــيل تري ذلك في تشبيهاته للمرأة والسيف والرمح والطبيعة .

٥- اعـــتمد الجاهلـــي في خيالاته علي البيئة ، ووحدة المصدر جعلـــتهم لا يتـــسعون في المعاني بل عم التشابه وظهر التقارب بينهم .

٦- طـــول القصيدة الجاهلية جعلها تلم بمواضيع وأغراض كثيرة قـــد لا يكـــون بيـــنها ترابط عضوي ، فالحرية والتنقل والفضاء الواسع وما يجمع من أمور لا رابط بينها ، كل ذلك كان له أثره فـــي عدم ترتيب الأفكار ، وقد كان الشاعر ينتقل من معني إلي معنـــي آخـــر من غير تمهيد حتي أصبحت القصيدة العربية في العصر الجاهلي مجموعة من الأغراض

ثالثاً : أغراض الشعر الجاهلي

الـــشعر ديوان العرب ، وأعلي مراتب الأدب ، وأمهات دواعيه أربـــع هـــي : الرغبة والرهبة والطرب والغضب ، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق والنسيب " الغزل " ومع الغضب يكون الهجاء والعتاب الموجع .

- وقـــال قـــوم الشعر نوعان : مدح وهجاء ، فمع المدح يكون الـــرثاء والفخر والتشبيب ، وما يتعلق بذلك من محمود الوصف وممـــدوح الـــنعت وحسن التشبيه ، وكذلك ما فيه تربية الأخلاق كالأمثال والحكم والترغيب في القناعة والزهد في الدنيا .

ومـــع الهجاء يكون ضد ذلك كله ، ويأتي العتاب طرف لكل من النوعـــين فالمـــادح المحـــب يعاتب والذام الكاره المبغض يعاتب أيضاً .

- وقـــد تنوعت فنون الشعر الجاهلي تبعاً لتنوع المشاعر و تغير العواطـــف من حب ، وبعض وخوف وإعجاب وحزن ولذا ظهر مـــن الفنون (الأغراض الشعرية) الغزل ، والفخر ، والمدح ، والرثاء ، والهجاء ، والوعيد ، والإنذار ، والاعتذار ، والوصف والخمريات ، والحكمة ..... وسواها من الأغراض .

- وكان الشاعر العربي يتوخي المقام المناسب ليسوق فيه شعره منتقياً لذلك القافية الملائمة ، والأفكار والمعاني والأخيلة ، والألفاظ والأساليب التي تتناسب مع ما يسوق من شعر يناسب المقام .

وفيما يلي عرض لتلك الأغراض :

(١) المدح

هو ذكر محاسن المرء وصنائعه ، ويجعل منها في المقام الأول ما يهتم به البدوي من مآثر كالكرم والشجاعة والمروءة والعفة ... ألخ ، وكان الشاعر لا يمدح إلا مرتبطاً بالقبيلة ، فهو يمدح ما ترى القبيلة مدحه ممن قدم لها معروفاً أو مساعدة أو غير ذلك مما يستدعي المدح .

قال ابن رشيق القيرواني (وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريق الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ، ويجتنب - مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل فإن للملك سآمة وضجراً ، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب ، وحرم من لا يريد حرمانه) [١]

- وأفضل ما يكون المدح إذا كان عن عاطفة صادقة دون تملق أو نفاق ، لذا عد زهير بن أبي سلمي أصدق من مدح من

---

[١] العمدة جـ ٢ صـ ١٢٨ ط الخامسة دار الجيل سنة ١٩٨١ .

الشعراء الجاهليين لأنه لم يتكسب بشعره ولم يتخذ مدحه سبيلاً للنوال والمنح ، بل كانت مدائحه إعجاباً بصفات نادرة وتزكية لفضائل بارزة ، وصياغة لحكم سائرة فأجاد في شعره وأفاد في حكمه وأخلص في مدحه فأعجب النقاد والبلاغيون بطريقته .

- ومن المدح قول زهير يمدح هرم بن سنان :[١]

وأبيض فياض يداه غمامة ... علي معتفيه ما تغب نوافله [٢]

بكرت عليه غدوة فوجدته ... قعوداً لديه بالصريم عواذله[٣]

يفديه طوراً وطوراً يلمنه ... وأعيا فما يدرين أين مخاتله

فأعرضن عنه عن كريم مرزأ ... عزوم علي الأمر الذي هو فاعله[٤]

أخي ثقة لا يتلف الخمر ماله ... ولكن قد يهلك المال نائله

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وذي نسب ناء بعيد وصلته ... بمال ولا يدري بأنك واصله

فالشاعر انتقي معانيه بدقة ، وحرص علي إعلاء سجايا ممدوحه حتي جعله من شدة كرمه وجوده كأنك تعطيه ما تسأله ، فالممدوح يعطي ولا يمن ، ولا يتظاهر بالعطاء طلباً للشهرة أو التملق ، وهذه

---

[١] ديوان زهير صـ ١٤١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٤٤ .

[٢] تغب : تنقطع

[٣] الصريم : الصبح أو هو جمع صريمة وهي رملة تنقطع من معظم الرمل .

[٤] مرزأ : مصاب في ماله

الصورة قد لا توجد إلا في القليل النادر من الناس ، فمنتهي الكرم ومبلغ الجود أن تحس بسرور ورضا العاطي حين تسأله فيعطيك .

- وكثيراً ما تغني الشعراء بكريم الشيم ، وكل ما اتخذوه مثلاً رفيعاً لهم في حياتهم وسلوكهم من كرم ووفاء وغيرهما من الفضائل الحميدة علي شاكلة قول ربيعة بن مقروم :

وإن تسأليني فإني امرؤ ... أهين اللئيم وأحبو الكريما

وأبني المعالي بالمكرمات ... وأرضي الخليل وأروي النديما

ويحمد بذلي له معتف ... إذا ذم من يعتفيه اللئيما[١]

وأجزي القروض وفاءً بها ... ببؤس بيئسي ونعمي نعيماً[٢]

وقومي فإن أنت كذبتني ... بقولي فاسئل بقومي عليما

يهينون في الحق أموالهم ... إذا اللزبات انتحين المسيما[٣]

طوال الرماح غداة الصباح ... ذوو نجدة يمنعون الحريما

- ولا نصل إلي أواخر العصر الجاهلي حتي يتخذ الشعراء المديح وسيلة إلي الكسب ، فهم يقدمون به علي السادة المبرزين وملوك المناذرة والغاسنة يمدحونهم وينالون جوائزهم وعطاياهم الجزيلة ، وأخذوا في أثناء ذلك يعنون بهذه القصائد عناية بالغة حتي تحقق لهم

---

[١] المعتفي : السائل في غير طلب

[٢] البؤس والبئيس : بمعني واحد والمعني أنه يجزي السيئة بمثلها وكذلك الحسنة

[٣] اللزبات : الشدائد ، المسيم : الكثير من الأبل والغنم وهي مشتقة من السائلة

ما يريدون من التأثير في ممدوحيهم ، واشتهر بذلك زهير والنابغة وحسان بن ثابت .

- ولـــم يلبث هذا الفن أن أصبح حرفة خالصة للتكسب بوصوله إلي الأعـــشي ، فلـــم يترك ملكاً ولا سيداً مشهوراً في أنحاء الجزيرة إلا قصده ومدحه وفخم شأنه معرضاً بالسؤال .

(٢) الفخر والحماسة

الافـتخار هو المديح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار[١] ، وكل ما قبح فيه قبح فـي الافـتخار غير أن الفخر في الجاهلية كان شديد الصلة بالبيئة الجاهلـية ، فقـد كان العربي يفتخر بقوته وظلمه وكثرة عدد أفراد قبيلـته وسـلاحه واسـتعباده للغيـر ، وعـن الفخـر والحماسـة يقول د / شوقي ضيف :

(ولا نـبعد إذا قلنا إن الحماسة أهم موضوع استنفد قصائدهم ، فقد سـعرتهم الحـروب ، وأمـدها شـعراؤهم بوقود جزل من التغني ببطولـتهم وأنهم لا يرهبون الموت ، فهم يترامون عليه تحت ظلال الـسيوف والرماح مدافعين عن شرف قبائلهم وحماها ، ويرتفع هذا الغـناء بل قل هذا الصياح في كل مكان بحيث يخيل إلينا أنه لم يكن هـناك صوت سواه .... واقرأ في المفضليات والأصمعيات فستجد هـذا الفخر وما يطوي فيه من حماسة يدور علي كل لسان ، وستجد الشاعر فيه يتحدث دائماً عما تعتز به قبيلته من الأخذ بأوتارها ومن تضييق الخناق علي أعدائها ، وهو يعدد أيامها مشيداً بحسبها ونسبها وصـبرها في الملمات وكرمها في الجدب وحمايتها للجار وإغاثتها للملهوف . [٢]

---

[١] العمدة جـ٢ صـ ١١٤ - ١١٥ .

[٢] العصر الجاهلي صـ ٢٠٢ .

ومن أمثلة شعر الحماسة قول المرقش الأكبر[١]

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبداً ... إلا افتلينا غلاماً سيداً فينا
إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها في الأمن أغلينا
شعث مقادمنا تغلي مراجلنا ... نأسوا بأموالنا آثار أيدينا
إني لمن معشر أفني أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحامونا
إذا الكماه تنحوا أن يصيبهم ... من فارسٍ ؟ خالهم إياه يعنونا
ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم ... مع البكاة علي من مات يبكونا

- ومن روائعهم في هذا الباب معلقة عمرو بن كلثوم التي يقول فيها :

متي ننقل إلي قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا
نطاعن ما تراخي الناس عنا ... ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسمر من قنا الخطي لدن ... ذوابل أو ببيض يعتلينا
نشق بها رؤوس القوم شقاً ... ونخليها الرقاب فتختلينا
كأن جماجم الأبطال فيها ... وسوق بالأماعز يرتمينا [٢]
ورثنا المجد قد علمت معد ... نطاعن دونه حتي يبينا

---

[١] شاعر جاهلي اسمه : عوف بن سعد وهو عم المرقش الأصغر واسمه عمرو بن حرملة .

[٢] الأماعز : الأراضي الصلبة ، الوسوق جمع وسق وهو الحمل

ونحن إذا عماد الحي خرت علي الأخفاض نمنع من يلينا

نجذ رؤسهم في غير وتر فما يدرون مـاذا يتقـونـا

- والمعلقة جميعها صياح شديد علي هذا النحو الذي رفع فيه قبيلته تغلب علي كل من حولها في نجد شرقيها وغربيها . فكل من حدثته نفسه بقتالها كان مصيره الهلاك والدمار .

- وقـد يتوجه الشاعر بالفخر إلي نفسه ليبين مدي شجاعته ومنزلته في القبيلة وحاجة القبيلة إليه ليحميها ، ويبث الهيبة في نفوس أقرانه وذلك مثل قول عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنهـا أشطان بئر في لبان الأدهـم

ولقد شفي نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

- ويتـضح من شعر الفخر في البيئة الجاهلية أن العربي كان يحب الظهـور ، والتفوق علي غيره والإعجاب الشديد بنفسه حتي استولي ذلك علي نفوس الشعراء وسيطر عليهم إلي حد كبير .

(٣) الرثـــاء

من أهم الموضوعات التي أطيلت فيها القصائد الجاهلية ، والقصيدة في هذا الموضوع تسمي مرثية ، وفي الشعر الجاهلي مراث تعد من أجمـــل وأفخم ما في الأدب العربي ويروي الرواة أن بعض العرب سئلوا : ما بال أفضل أشعاركم الرثاء ؟ فأجابوا : لأننا نقولها وقلوبنا مـــوجعة ، أي لأنها صادرة عن عاطفة حارة خالية من كل تكلف . والـــرثاء هو بكاء الميت وإظهار الحزن واللوعة لفقده ، وذلك بتعداد مناقـــبه وإظهـــار مآثره والإشادة بما كان له من خلال كريمة ، وما تـــركه من فراغ لا يشغل بعد هذا الفقد ، وقد يؤثر الجو النفسي في الشاعر فيخرج من الإطار المتقدم كأن يكون الميت قتيلا ، وما أكثر ذلـــك فـــي الجاهلـــية فيخرج الرثاء إلي التحمس والإثارة والتهديد والوعـــيد ، وقـــد يقـــوم الـــرثاء علـــي الـــندب والتأبـــين والعزاء وتعداد المآثر .

- وكانـــت النـــساء تشارك الرجال في هذا الندب ، فقد كن ما يزلن ينحن علي القتيل حتي تثأر له القبيلة ، ويظهر أنه كان يشيع عندهم ضرب من (التعديد) كما نسميه الآن ، فما تزال امرأة تنوح ويرد علـــيها صـــواحبها ، وقد حدثنا الرواة أن الخنساء كانت تخرج إلي عكاظ فتندب أخويها صخراً ومعاوية وكانت هند بنت عتبة أم معاوية ابـــن أبي سفيان تحكيها (تقلدها) نائحة أباها . وكن يشققن جيوبهن

علـــي القتيل أو الميت ويلطمن وجوههن ويقرعن صدورهن ويعقدن عليه مأتما من العويل والبكاء .

- وخيـــر مـــثال علي ذلك هو : الخنساء فقد قتل أخوها معاوية في بعـــض المعارك ، فارتفع نحيبها وبكاؤها عليه ، وقتل أيضا أخوها صخر فاتسع الجرح والتاعت لوعة شديدة .

- ومن روائع ما ندبت به أخاها صخرا :

أعيني جـــودا ولا تجمـــدا ... ألا تبكيان لصخـــر النـــدي

ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيـــان الفتـــي السيدا

طويل النجاد رفيع العمـــاد ... ســـاد عشيـــرتـــه أمـــردا

إذا القوم مـــدوا بأيديهـــم ... إلي المجد مد إليـــه يـــدا

فنال الذي فـــوق أيديهـــم ... من المجد ثم مضي مصعدا

وعن هذا الغرض يقول ابن رشيق : (وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل علي أن المقصود به ميت مثل : كان أو عـــد مناقـــبه ، أو ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت ..... وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام)[1]

- ولعل من الطريف أن بعض شعرائهم كان إذا أحس داعي الموت نـــدب نفسه ووصف ما يصنعه به أهله بعد الموت من ترجيل شعره

---

[1] العمدة جـــ٢ صـــ١١٧-١١٨

ووضـــعه فـــي مدارج الكفن ثم لحده ودفنه ومن ذلك قول الشاعر الجاهلي [١] :

هل للفتي من بنات الدهر من واق أم هل من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما رجلت من شعث وألبسوني ثيابـاً غيـر أخـلاق
وأرسلوا فتية من خيرهـم حسبا ليسندوا في ضريح الترب أطباقي

- وكـــان الـــشعراء حين يذكرون الموت يتأسون ويتعزون عنه بأنه حـــوض لابد من وروده وقد سبقتهم إليه الأجيال الماضية من ملوك وغير ملوك .

علي هذا النحو ألم الشعراء الجاهليون بجوانب الرثاء من ندب وتأبين وعزاء ، وكان رثاؤهم غالبا يتعلق بأفراد لا بمجموعات .

---

[١] الأبيات تنسب للممزق العبدي أو ليزيد بن الحذاق

(٤) الغـــزل

وهو إلف النساء والميل إلي ما يوافقهن ، ووصف محاسنهن الخلقية ومفاتـــنهن الجمالـــية ، واجتـــرار ما مضي من ذكريات قامت بين الـــشاعر والمرأة من وصل وهجران وعطاء وحرمان والتعبير عن كل ما يعتمل في نفس العاشق من بتاريح الهوي والحب .

- والغـــزل والنـــسيب والتـــشبيب بمعني واحد والأصل فيهم جميعا ترقيق الشعر بذكر المرأة واستعادة ذكريات العشق والوله .

قـــال ابن رشيق في باب النسيب : (أن يكون حلو الألفاظ رسلها ، قريب المعاني سهلها ، غير كز ولا غامض وأن يختار له من الكلام مـــا كـــان ظاهـــر المعني لين الإيثار شفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين) [١]

- وأول صـــورة للغزل تقابلنا في الشعر الجاهلي هي (بكاء الديار القديمة) أو بكاء الأطلال وهي الديار التي رحلوا عنها وتركوا فيها ذكريات شبابهم الأولي ، وهو بكاء يفيض بالحنين الرائع .

وقـــد كانـــت الأعـــراف الموجودة في البيئة الجاهلية لها أثرها في مسايرة هذا الغرض ، فاحترام الأعراض والحفاظ علي الشرف جعل مـــن يتغـــزل منهم يبتعد في غزله عن الفحش ويدنو من العفاف إلا القلـــة من الشعراء الذين نراهم يقفون عند المرأة فيصفون جسدها ،

---

[١] العمدة جـــ٢ صـــ٩٣ .

ولا يكادون يتركون شيئا فيها دون وصف له كالخد والجبين والعنق والصدر والعين والفم والريق والمعصم والشعر ..... الخ كما يتعرضون لثيابها وزينتها وحليها وطيبها وحيائها وعفتها .

من هنا يتضح أن الغزل الجاهلي دار بين أنواع ثلاثة :

(أ) بكاء الأطلال : وهو مقدمة غزلية كانت تبدأ بها القصيدة الجاهلية ويستهلها الشاعر بذكر المحبوبة وديارها وأيام شبابه معها واتخذ الشعراء تلك العادة في أغلب قصائدهم إن لم يكن كلها حتي سمي فيما بعد " بالغزل الصناعي " ، وذلك لعلم الشاعر العربي أن الحديث عن النساء يستهوي الأسماع ويستمل الآذان قبل القلوب فكان يبدأ قصيدته بتلك المقدمة الغزلية الطليلة ثم يدلف منها إلي غرضه الأساسي .

(ب) غزل عفيف : وهو ذكر العواطف المنفعلة التي ألهبت مشاعر الحنين في نفس الشاعر الجاهلي ، والتعرض للمرأة بالوصف دون التجريح أو التصريح بما يتنافي مع صون الأعراض وحفظها .

ووجدنا الشعراء في ذلك كثيرا ما يقفون طويلاً يصورون حبهم للمرأة وما يذرفون من دموع وذلك علي شاكلة قول الشاعر :

فظللت من فرط الصبابة والهوي طرفاً فؤادك مثل فعل الأيهم [1]

---

[1] طرفاً : ينظر هنا وهناك بلا استقرار . والأيهم : المجنون

(ج) الغزل الفاحش : وهو وصف كل مفاتن المرأة دون حرج أو عفة أو حشمة وربما رجع ذلك إلي أنهم كانوا وثنيين ولم يكن هناك دين يردعهم أو يحرم عليهم ذلك ، فنراهم يتعرضون لبعض مغامراتهم مع النساء وهي مغامرات تحول بها بعض الرواة إلي قصص غرامية .

ومما يميز هذا النوع من الغزل أن أساسه المتعة بالمرأة وعدم الوقوف عند حبيبة واحدة يكون وفياً لها بل يتحول من هذه إلي تلك واصفاً مستبيحاً غير محتشم ، ومن شعراء هذا اللون امرؤ القيس ، والمنخل اليشكري ، والمثقب العبدي – والمرقشان الأصغر والأكبر وطرفة بن العبد.

– وكان لشعراء الجاهلية أسماء تحلو في أفواههم كسلمي وليلي وهند وزينب وسعاد ..... الخ

ومن شعر الغزل قول المنخل اليشكري :

ولقد دخلت علي الفتا ... ة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء تر ... فل في الدمقس وفي الحرير

فدفعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلي الغدير

ولثمتها فتنفست ... كتنفس الظبي البهير [1]

---

[1] البهير : النهج وتتابع الأنفاس من شدة السعى والجري

فدنت وقالـــت يا منـــــــــ خل ما بجسمك من هرور

ما شف جسمي غير حبـــــــ ك فاهدئي عني وسيـــري

- ومن قول المرقش الأكبر :

قل لأسماء أنجزي الميعـــادا وانظري أن تزودي منك زادا

أينما كنت أو حللت بـــأرض أو بلاد أحييت تلـــك البـــلاد

إن تكوني تركت ربعك بالشام وجـــاوزت حميـــراً ومـــرادا

فأرتجي أن أكون منك قريباً فاسألي الصادرين والورادا

- هذا ومن المؤكد أن المرأة الحرة لم تكن ممتهنة عندهم ، بل كانت فـــي المكـــان المـــصون وكان الشاعر يستلهمها شعره ، ولذلك كان يضعها في صدر " مقدمة " قصيدته وشعره ونحس عند كثيرين منهم وخاصـــة فرسانهم من مثل عنترة أنهم يقدمون مغامراتهم في الكرم وفي الحرب لها لينالوا حبها .

(٥) الهجاء

وهو ذكر مثالب المرء وإظهار معايبه قذفاً بالشعر ، وأشد الهجاء ما كان فيه التفصيل ، وأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتجاهل ، وتوسط بين التعريض والتصريح ، وقربت معانيه وسهل حفظه وأسرع تعلقه بالقلب .

وكان اللسان – وما يزال – يفعل بالأعداء فعل السيوف والرماح وقد أدرك الشاعر الجاهلي ذلك فاتخذ من لسانه سلاحاً يقاتل به مع الفرسان والشجعان ونصب من هجائه سهاماً جعل يرمي بها أعداءه من الأشراف والقبائل .

– وكان الشعراء ينتهزون فرصة تلاقيهم في الأسواق وخاصة سوق عكاظ فينشدون أهاجيهم لتذيع ، وليلحقوا بخصومهم كل ما يريدون من خزي وعار .

– وكان الهجاء الجاهلي يدور علي كل ما يناقض مثلهم التي جمعت في كلمة " المروءة " وهي تعني – كما سبق – فضائل كثيرة منها الشجاعة والكرم وحماية الجار والوفاء والنجدة وطلب الثأر ، وما هي إلا أن يدخل الشاعر في الهجاء ، فإذا هو يخلص القبيلة وأشرافها من كل هذا الفضائل وما يتصل بها ، فهي لا تكرم الجار ولا تحميه ، وهي تفر في الحروب وتقعد عن الأخذ بثأرها . ولم يقف الشعراء الهجاءون عند ذلك بل كانوا يقذفون في الأعراض ويطعنون في الأنساب متعرضين للأمهات وللزوجات بالإمعان في

الفحش ، وكثيرا ما يتعرضون لشخص فيزعمون أنه دعي في قومه زنيم ، وشاع بينهم هذا الضرب من الوقوع في الأعراض .

- وأغلب الهجاء الجاهلي لم تفرد له قصائد خاصة ، بل كان الشعراء يسوقونه غالباً في وسط وتضاعيف حماستهم وإشادتهم بأمجادهم وانتصاراتهم الحربية .

- ومن أمثلة الهجاء قول الشاعر يهجو النعمان بن المنذر

نعمان إنك خائن خدع يخفي ضميرك غير ما تبدي

وقول الأخر أيضا يهجو النعمان وينسبه إلي غير أبيه :

لعن الله ثم ثني بلعن ابن ذا الصائغ الظلوم الجهولا

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو قتيلا

ومن أشهر الشعراء الهجائين في الجاهلية ، الحطيئة ، وحسان بن ثابت وعبد الله بن الزبعري .

ومن أشد الهجاء عندهم قول زهير يهجو آل حصن متجاهلا عليهم

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فإن تكن النساء مخبآت فنحن لكل محصنة هداء

(٦) الاعتـــذار

وهو الاحتجاج للنفس فيما فعلت ، وإقامة الحجة والأدلة مع التطلف فـــي التضرع والدخول تحت العفو ، وعلي الشاعر أن يكون حكيماً يعرف كيف يأخذ بقلب ولب من يعتذر إليه ، ويلين جانبه ويستجلب رضاه .

- وفـــن الاعـــتذار نـــشأ نشوءاً من المديح وفي ظلاله ، وإن كانت تتداخل فيه عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء .

- ومما يـــنحو نحو الاعتذار ما ظهر عندهم من فنون عتاب كان ينـــشئه بعض الشعراء ملامة لما قد يصيبه من أذي الأقارب ، وقد كـــان عتابهم واعتذارهم قليل إذا قيس بأي فن آخر من فنون الشعر التي راجت عندهم .

ومن أشهر شعراء هذا الفن النابغة الذبياني ، ومن قصائده التي يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه قوله :

أتاني – أبيت اللعن– أنك لمتني وتلك التي اهتم منها وانصـــب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبـــــة وليس وراء الله للمرء مذهـــب
لئن كنت قد بلغت عني خيانـــة بلاغك الواشي أغش وأكـــــذب
ولكنني كنت امرأ لي جـــــانب من الأرض فيه مستراد ومذهب
....
فلا تتركني بالوعيد كـــأنني إلي الناس مطلي به القار أجرب

(٧) الوصـــف

وهو تطابق التعبير مع الإدراك ، وهو باب جامع مع أبواب الشعر، فالمديح وصف محاسن الناس ، والهجاء وصف مساوئهم ، والنسيب وصف جمال المرأة وما يثيره في النفس من عاطفة وهلم جرا .

– ومن النقاد من قال : إن الشعر كله وصف ، وهو كلام جائر لأن هـــذا التعمـــيم لا ينفعنا بشئ إذا كنا نريد البحث عن الأغراض التي يرمي إليها الشعراء في نظم أشعارهم والموضوعات التي تناولوها ، فممـــا لا شـــك فيه أن هنالك أشعاراً قصد بها الوصف لذاته ، وهي مستقلة تماماً عن سائراً أبواب الشعر الأخري .

– والأشياء التي تناولها الشعراء بالوصف تنقسم إلي قسمين :

* ***الظواهر الطبيعية التي ليس للإنسان يد في ايجادها .***
* ***والأشياء التي هي من صنع الإنسان .***

– وقد كان للظواهر الطبيعية المكان الأول في الوصف عند شعراء الجاهلـــية ، ولم يكن من المعقول أن يكثروا من وصف أشياء شديدة الارتباط بالحضارة ، وهم بعد في عهد البداوة أو قريبون منه .

وأكثر ما تجده في أشعارهم من وصف الأشياء المصنوعة ما نظموه فـــي وصف أدوات القتال كالسيف والرمح والدرع والقسي والسهام وما شاكل ذلك .

- أما الظاهرات الطبيعية التي أكثروا من وصفها فهي بالطبع مما يتفق والبيئة التي عاشوا في ظلها ، أي بيئة الجزيرة العربية ، وهذه الظاهرات تنقسم هي أيضاً إلي قسمين :

الأول : *نستطيع أن نسميه الطبيعة الساكنة أو الهامدة كالصحراء والجبال والرمال والسماء وما يجري هذا المجري .*

أما **الثاني** : *فيشتمل علي الكائنات الحية المتحركة وهي ما اشتملت عليه بيئتهم من دواب وحشية أو مستأنسة صغرت أو كبرت كالإبل والخيل والحمر الوحشية والنعام والغزلان ..... الخ*

- وليس من شك في أن الطبيعة الحية المتحركة لها المكان الأول في الشعر الجاهلي وللإبل المكان الأول في الوصف كله ، فشعراء ذلك العهد كانوا يتوخون الإيجاز إذا وصفوا الصحراء أو الريح أو الليل أو القيظ كقول الشاعر في الليل :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل خيوط الفتل شدت بيذبل

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلي صم جندل

- ولكنهم كانوا يسهبون ويطنبون إذا وصفوا الناقة أو الفرس علي نحو ما هو معروف عن طرفة بن العبد في وصفه لناقته وقد كاد أن لا يترك فيها عضوا ولا جزءاً دون وصف وتصوير .

ولامرئ القيس قطعة بديعة في معلقته يصف فيها فرسه الذي اتخذه للصيد وفيها يقول :

له أيطلا ظبي وساقا نعامـــة وإرخاء سرحان وتقريب تتفـــل[1]
ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل
كأن سراته لدي البيت قائمـــا مداك عروس أو صلابة حنظـــل

وتلك القطعة هي التي بدأها بقوله عن فرسه أيضا :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيـــد الأوابـــد هيكـــــل
مكر مفر مقبل مدبـــر معـــــا كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفـــواء بالمتنـــــزل

ومن الذين أجادوا في وصف فرسه أيضا عنترة إذ يقول :

هلا سالتي الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمـــي
إذ لا أزال علي رحالة سابـــح نهد تعاوره الكـــمـــاة مكلـــــم
طوراً يجرد للطعان وتـــــارة يأوي إلي حصد القصي عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشي الوغي وأعف عند المغنم

نلمح من الأبيات السابقة سواء لامرئ القيس أو عنترة أنهما من شدة وصـــفها لحـــصانيهما أنك في حضرة تمثالين منحوتين بدقة لهذين الفرسين وذلك من روعة التشكيل والتكوين التي ألح عليها كل شاعر في وصف فرسه .

---

[1] أيطلا الظبي : خاصرتاه ، وإرخاء سرحان : سير الذئب ، تقريب تتفل : أي قفز ووثب الثعلب .

(٨) الحكمـــة

وهـــي ثبر غور الأشياء ومعرفتها والنظر إليها نظرة صحيحة عن طـــريق التجـــربة والخبـــرة ، والغرض من هذه الحكمة وهدفها هو النـــصيحة والموعظة ، فالشاعر ما يزال يدلي في ثضاعيف قصيدته بـــتجاربه ، وقد يفرد لها مقطوعات ، إذا اتجه إلي تقديم وصية لبنيه علـــي نحو ما صنع عمرو بن الأهتم في وصيته لابنه التي يستهلها بقوله :

وإن المجـد أولـــه وعـــور ومصـــدر غبـــه كـــرم وخيـــر

وممـــن كثرت الحكمة في شعرهم زهير والأفوه الأودي وعلقمة بن عبده ومن شعر الأخير في الحكمة :

الحمد لا يشتري إلا له ثمـــن مما يضن به الأقوام معلوم

والجود نافية للمال مهلكـــــة والبخل باق لأهليه ومذموم

وكل حصن وإن طالت سلامته علي دعائمه لا بد مهـــدوم

وقـــد كثـــرت في شعر طرفة بن العبد ، ولبيد بن ربيعة أيضا ومن شعر طرفة في الحكمة قوله :

إذا كنت في حاجة مرســـلا فأرسل حكيماً ولا توصـــه

وإن ناصح منك يوما دنـــا فلا تنأ عنه ولا تقصـــــه

وإن باب أمر عليك التـــوي فشاور لبيباً ولا تقصـــــه

وذو الحق لا تنقصن حقـــه فإن القطيعة في نقصـــــه

ولا تذكر الدهر في مجلس حديثاً إذا أنت لم تحصـــه

ولا تحرصن فرب امـــرئ حريص مضاع علي حرصه

ويلخص لنا الشاعر الجاهلي رأي الجاهليين في المرأة وما تطلبه من الرجل فيقول :

فإن تسألوني بالنساء فإننـــي بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب

ويظهـــر أن الحكمـــة قديمة عندهم ، فنحن نجدها في معلقة عبيد بن الأبرص وفيها يقول :

وكـــل ذي غيبـــة يئـــوب وغائـــب الموت لا يئـــوب

وهكـــذا نجـــد الحكمـــة في الشعر منثورة في تضاعيف الأغراض الأخري ، والحكمة تدل علي حنكة الجاهلي وطول تجربته ومعرفته الصحيحة بالأشياء .

– وهناك أغرض أخري للشعر الجاهلي لم يقف عندها النقاد العرب ربما لقلتها بالنسبة للأغراض الأخري ، ومن هذه الأغراض العتاب، الخمـــريات ، شـــرح الفكاهـــة والمرح ، السخرية إلي غير ذلك من الأغراض التي لم يفرد لها النقاد أبواباً خاصة في العصر الجاهلي .

الفصل الرابع

مدارس الشعر الجاهلي

❁ مدارس الشعر الجاهلي

(١) مدرسة شعراء المعلقات

المعلقـــات هي مجموعة من القصائد الطوال الجيدة التي كانت أوفر حظـــاً من بين الشعر الجاهلي بالحفظ والعناية ، وهذه المعلقات هي لطائفـــة مـــن الشعراء الجاهلين عرفوا بالإجادة لذا تعد المعلقات من أجود وأروع ما وصل إلينا من التراث العربي طوال هذه الأزمنة ، كمـــا تعد من أهم وثائق الشعر الجاهلي التي بلغت شهرتها وشيوعها حدا كبيراً .

❁ ***مدلول لفظة معلقات*** .

اختلف المؤرخون في مدلول لفظة " معلقات " :

(١) يـــري جمهور المؤرخين أن لفظة معلقات جاءت من أن العرب اخـــتارت هـــذه القـــصائد الطويلة الجيدة ثم كتبتها بماء الذهب علي القباطي " نوع من القماش " ثم علقتها علي جدران الكعبة أو بداخلها إعجابـــاً بهـــا وإشادة بذكرها ، وقد بقي بعضها إلي يوم فتح مكة ، وذهب البعض الآخر في حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام .

– إذن يري جمهور المؤرخين أن لفظة معلقات أخذت من تعليق هذه القصائد علي الكعبة وهو الرأي الراجح .

(٢) يـــري الخطـــيب التبريزي أن كلمة معلقات مأخوذة من تعلق الأذهان بها ، فيقول إن لفظة معلقات جاءت من أنها علقت بأذهان صغار الجاهليين وكبارهم ورؤسائهم ومرؤسيهم وذلك لشدة عنايتهم بها .

(٣) يـــري أبو جعفر النحاس ، وهو شارح من شراح المعلقات ، أن لفظـــة معلقات مأخوذة من تعليقها في خزانة الملك ، وهو بذلك ينكر تعلـــيقها علـــي الكعبة ، فيقول في شرحه للمعلقات (إن العرب كان أكثـــرهم يجـــتمعون بعكاظ ويتناشدون الأشعار فإذا استحسن الملك القـــصيدة قـــال : علقوها وأثبتوها في خزانتي) ويقصد بالملك هنا الـــنعمان بـــن المنذر الذي كان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول .

– إذن يشترك أبو جعفر النحاس مع جمهور المؤرخين في أن لفظة معلقات جاءت من (التعليق) ولكن المؤرخين يرون أنها كانت تعلق علي الكعبة ، أما هو فيري أنها كانت تعلق في خزانة الملك .

(٤) يـــري بعـــض المســـتشرقين وأبـــرزهم المستـــشرق الألمـــانـــي " نولدكي" [١] أن لفظة معلقات مأخوذة من لفظ (علق) وهو الشئ النفيس وأنها سميت بذلك الاسم لنفاستها تشبيها لها بالقلائد النفيسة التي تعلق في النحور " الصدور "

– والذي يميل إليه الكثير من الباحثين والكتاب أن التعليق كان علي الكعبة ، يؤيد ذلك أن تعليق الصحائف الخطيرة علي الكعبة كان سنة متـــبعة في الجاهلية بقي أثرها في الإسلام ، ومن ذلك تعليق قريش الـــصحفية التي قاطعوا بها بني هاشم وعبد المطلب وذلك لحمايتهم لرســـول الله " صلي الله عليه وسلم" حين أصر علي الدعوة إلي الله ولم ينزل علي رأيهم ، وكذلك تعليق الرشيد عهده بالخلافة من بعده إلي ولديه الأمين والمأمون .

* ***بعض أسماء المعلقات***

عرفت المعلقات في الأدب الجاهلي بعدة أسماء منها :

(١) **المعلقـــات** : وقـــد مضي الحديث عنها وعن سبب تسميتها بهذا الاسم علي ما فيه من خلاف في الاشتقاق ....

---

[١] وضع نولدكي كتابا في هذا الموضوع رجح فيه أن المعلقات معناها المنتخبات وإنما سماها حماد الراوية بهذا الاسم تشبيها لها بالقلائد التي تعلق في النحور ، واستدل علي ذلك بان من أسمائها السموط ومن معاني السموط القلائد . ينظر . تاريخ الأدب العربي – الزيات صـــ٣٤ هامش .

(٢) **المذهبات** : وهذا الاسم مأخوذ من كتابة المعلقات بماء الذهب لجودتها ونفاستها .

- وهـذه التسمية (المذهبات) أوردها ابن قتيبة في كتابة (الشعر والشعراء) أثناء حديثه عن ترجمة عنترة بن شداد العبسى فقال عن معلقته : (وهي أجود شعره وكانوا يسمونها مذهبة) .

- وذكر ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه " العقد الفريد " تلك التسمية وذكر أن المعلقات كتبت بماء الذهب في نوع من القماش يسمي " القباطي " المدرجة ثم علقت .

كمـا ذكر نفس التسمية ابن رشيق القيرواني في كتابه " العمدة في محاسـن الـشعر وآدابـه ونقـده " فقال : (كانت المعلقات تسمي المذهبات) ونقل جلال الدين السيوطي عنه ذلك في كتابه " المزهر "

(٣) **السمـوط** :

وهـذا الاسـم مأخوذ من السمط : وهو القلادة التي هي أطول من المخـنقة والـسمط أيضا هو خيط النظم والعقد لأنه يعلق . والسمط مفرد جمعه سموط . وإذا كانت القلادة ذات نظمين فهي ذات سمطين وأنشد لطرفة :

وفي الحي أحوي ينفض المرد شادن

مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد [١]

---

[١] لسان العرب جـ٣ صـ٢٠٩٣ ط دار المعارف .

وهـــذه التـــسمية " ســـموط " تنسب إلي حماد الراوية ، وتبعه فيها المفـــضل الـــضبي صاحب " المفضليات " ثم نقلها عنهما أبو زيد القرشي صاحب " جمهرة أشعار العرب " فقال بعد أن فرغ من ذكر أصـــحاب المعلقات : (هؤلاء أصحاب السبع الطوال ، التي تسميها العرب (السموط) .

(٤) السبع الطوال

وتنـــسب هـــذه التـــسمية إلـــي " حماد الراوية أيضا " وسماها كذلك لطـــولها، وقد يطلق عليها أحيانا " الطوال " فقط دون السبع وكذلك تنـــسب تسمية " السبع الطوال " إلي أبي زيد القرشي فقد ذكرها في جمهـــرته ، وذكـــرها كـــذلك صاحب كتاب " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " وهو ابن الأثير .

- وقـــد أضـــاف ابن الأنباري إلي التسمية كلمة " الجاهليات " فجاء شرحه للمعلقات بعنوان (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)

- وفي النهاية تبقي تسمية " المعلقات " هي صاحبة الحظ الأوفر من الشهرة والذيوع رغم تعدد التسميات فلم تلق تسمية أخري نفس شهرة تسمية " المعلقات " ولذلك تناولتها الألسنة والأقلام وتظل هي الأشهر إلي يومنا هذا .

عدد المعلقات

لأن الاعـــتماد كان علي الرواية الشفوية نجد أن المؤرخين القدامي اختلفوا في عدد المعلقات

- فمنهم من قال إنها سبع قصائد
- ومنهم من قال إنها تسع
- ومنهم من قال إنها عشر
- ولكن تظل الأكثرية دائماً علي أنها سبع لا تسع ولا عشر .

وهي :

الأولي : لامرئ القيس ومطلعها :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل

بسقط اللوي بين الدخول فحومل

الثانية : لطرفة بن العبد ومطلعها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

الثالثة : لزهير بن أبي سلمي ومطلعها :

أمن أم أوفي دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

الرابعة : للبيد بن ربيعة ومطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها بمني تأبد غولها فرجامها

الخامسة : لعمرو بن كلثوم ومطلعها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

السادسة : لعنترة العبسي ومطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

السابعة : للحارث بن حلزة ومطلعها :

آذنتنا ببينها أسمـــاء رب ثاو يمل منه الثواء

* *متى جمعت المعلقات ؟*

يـــري المؤرخون أن المعلقات قد جمعت في أواخر العصر الأموي وأوائـــل العـــصر العباسي الأول . وأن أول من جمع هذه القصائد الـــسبع هـــو " حماد عجرد " المعروف بحماد الراوية المتوفي سنة ١٥٥هـــ ولكن يبقي الخلاف بين الشراح وأصحاب الاختيارات حول الشعراء السبع أصحاب المعلقات .

(١) فالمـــشهور عـــند أغلب المؤرخين والشراح أن الشعراء السبع أصحاب المعلقات هم :

امـــرؤ القـــيس ، طرفه ، زهير ، لبيد ، عنترة ، عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة .

(٢) ولكن أبا زيد القرشي صاحب كتاب " جمهرة أشعار العرب " قد افتتح اختياراته بالمعلقات وجعل أصحابها سبعة ولكنه غير اثنين من الشعراء السابقين . فالسبعة عنده هم :

امـــرؤ القـــيس ، طـــرفه ، زهير ، لبيد ، عمرو بن كلثوم ، النابغة الذبياني ، الأعشي " ميمون بن قيس "

واختار للنابغة الذبياني معلقته التي مطلعها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار

واختار للأعشي معلقته التي مطلعها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

فمن الملحوظ أن أبا زيد القرشي قد أغفل معلقتي عنترة ، والحارث ابن حلزة ووضع مكانهما معلقتي النابغة والأعشي ، فهم عنده سبعة ولكن مع الاختلاف عن السبعة الأوائل في اثنين .

(٣) ثم جاء أبو جعفر النحاس المتوفي سنة ٣٣٨هـ وجعل المعلقات تسعاً هم السبعة الأوائل والاثنان اللذان وضعهما أبو زيد القرشي وغير فيهما .

فالتسعة عند أبي جعفر هم :

امرؤ القيس ، وطرفه ، وزهير ، ولبيد ، وعنترة ، عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ، والنابغة الذبياني ، والأعشي .

بيد أنه اختار قصيدة أخري للنابغة غير التي اختارها أبو زيد القرشي فجعل معلقة النابغة القصيدة الدالية التي مطلعها :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

(٤) ثم جاء الخطيب التبريزي فجعل المعلقات عشراً وأصحابها هم نفس التسعة الذين ذكرهم أبو جعفر النحاس وزاد هو العاشرة وهي القصيدة البائية لعبيد بن الأبرص والتي مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

فأصحاب المعلقات عنده هم : امرؤ القيس ، طرفه ، زهير ، لبيد ، عنتـــرة ، عمـــرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة ، النابغة الذبياني ، الأعشي ، عبيد بن الأبرص .

أهم الشروح للمعلقات

مـــن أهـــم الـــشروح للمعلقات سواء بمفردها أو داخلة ضمن أشعار أخري هي :

- جهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري
- شرح المعلقات التسع لأبي جعفر النحاس
- شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني
- المعلقات العشر للخطيب التبريزي

وهناك كتب تحدثت عنها ، وعن أشعار أخري ولم تخصها بالحديث أو الشرح كالمفضليات والأصمعيات والمثل السائر والعقد الفريد والمزهر .....الخ .

شعراء المعلقات

(١) امرؤ القيس

هو امرؤ القيس حندج بن حجر بن عمرو الكندي [١] ، من قبيلة كندة اليمنية ، ومن بيت السيادة فيها ، فأبوه سليل الملوك من كندة ، وملك بني أسد ، وأمه أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة فشب في حجر النعيم ودرج في مهد الترف والنعمة ، إلا أنه نشأ نشأة الغواة يشرب الخمر ويغازل النساء ويعشق اللهو ، ويقول الشعر ، ثم أطلق لنفسه عنان المجون والخلاعة ، وقعدت به نفسه عما تطمح إليه النفوس الكبيرة ، فطرده أبوه وكان أصغر أولاده ، فخرج في زمرة من أخلاط العرب وعرضهم يذهبون إلي الرياض والغدران يشربون الخمر ويصيدون ويلعبون وظلت تلك حاله حتي جاءه نعي أبيه وقد قتله بنو أسد غيلة إذ أصابوا منه غرة فقتلوه لأن استبد بهم ، وساءت سيرته فيهم ، وروايات قتله متعددة ذكرها صاحب " الأغاني " . ساعتها قال امرؤ القيس :" ضيعني أبي صغيراً وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر " ثم أقسم إلا يأكل لحماً ولا

---

[١] تتردد في كتب الأدب أسماء مختلفة لامرؤ القيس ، فيسمي حندجاً وعدياً ومليكة ويكني بأبي وهب وأبي زيد وأبي الحارث ، ويلقب بذي القروح والملك الضليل وأشهر ألقابه امرؤ القيس ، والقيس من أصنامهم في الجاهلية كانوا يعبدونه وينتسبون إليه - ينظر العصر الجاهلي / لشوقي ضيف صـ ٢٣٦ .

يـشرب خمـراً ولا يـضع طيباً حتي يقتل من بني أسد مائة ويجز نواصي مائة [١]

ويظهر أن بني أسد سمعوا بذلك وعلموا به فخافوا العاقبة ، فأرسلوا إليه وفداً للمفاوضة ، وعرض عليه الوفد إحدي ثلاث :

القـصاص ، أو الفديـة ، أو الإمهال حتي تضع الحوامل ، ثم تعقد الـرايات وتكـون الحرب ، فقال : " لقد علمت العرب أن لا كفء لحجـر فـي دم ، وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقة ، فاكتسب بذلك سـبة الأبـد ، وفـت العضد ، وأما النظرة " الإمهال " فقد أوجبتها الأجـنة فـي بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سببا ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الأسنة علقا " دما " ورويـداً ينكشف لكم دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير فنهضوا عـنه " وقـد علموا أنه طالبهم أي سيحاربهم حتي يأخذ بثأره منهم وأقبل امرؤ القيس يستنصر القبائل ليأخذ بثأره من بني أسد فنصرته قـبائل وخذلـته أخري حتي لحق ببني أسد وقتل منهم لكثير وجرح الأكثر وهرب منه بقيتهم فتبعهم ، وفي أثناء ذلك كانت بعض القبائل تنصره بالمال والرجال ، وكان يستأجر من القبائل رجالا للقتال معه فـسار بهم إلي بني أسد ويقال إنهم عادوا فتركوه ، وهنا أخذ ملك الحيـرة يـؤلب علـيه القبائل ظناً منه أنه يحاول إرجاع ملك آبائه

---

[١] تاريخ الأدب العربي / الزيات صـ ٤٦ بتصرف .

وأجـــداده فخـــرج امـــرؤ القيس شريداً ينتقل بين أمراء قبائل يطلب الجـــوار حتـــي دله رجل من بني فزارة علي السموأل بن عادياء ، صاحب حصن الأبلق بتيماء ، فلجأ إليه وطلب منه أن يكتب له إلي الحارث بن جبلة الغساني بالشام ليوصله إلي قيصر ، واستودعه أهله وأمـــواله وما كان معه من سلاح ومضي حتي انتهي إلي قيصر في القسطنطينية فأكرمه القيصر ورفع منزلته ، وضم إليه جيشا كثيفاً ، ولمـــا سافر امرؤ القيس بالجيش ، اندس إلي القيصر رجل من بني أسد فقال له : (إن امرأ القيس غوي عاهر ، وإنه لما انصرف عنك بالجـــيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشـــعاراً يـــشهرها بهـــا في العرب يفضحها ويفضحك ، فبعث إليه القيصر حينئذ بحلة موشاة مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : إني أرســـلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت إليك فالبـــسها باليمن وبالبركة واكتب إلي بأخبارك من منزل منزل " أي في أي مكان تنزل فيه " فلما وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها ، فأســـرع فيه السم وسقط جلده ، فلذلك سمي " ذا القروح " فلما وصل إلـــي " أنقـــرة " وكانت بلدة من بلاد الروم احتضر بها ، ورأي قبر امـــرأة مـــن أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له " عسيب " فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال :

أجارتنا إن المزار قريـــب وإني مقيم ما أقام عسيـــب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن إلي جنب المرأة وقبره هناك .

– ذكـــر رواة أيام العرب أن امرأ القيس كان يعشق عنيزة ابنة عمه شـــرحبيل وكـــان لا يحظـــي بلقائها ووصالها ، فانتظر ظعن الحي " ســـفرهم " وتخلـــف عن الرجال حتي إذا ظعنت النساء سبقهن إلي الغدير المسمي " دارة جلجل " واستخفي ثم علم أنهن إذا وردن الماء اغتـــسلن ، فلمـــا وردت العذاري اللواتي كانت عنيزة فيهن ونضون ثيابهن " خلعنها " وشرعن في الانغماس في الماء ظهر امرؤ القيس وجمـــع ثيابهن وجلس عليها ، ثم حلف علي أن لا يدفع إليهن ثيابهن إلا بعـــد أن يخرجن إليه عاريات ، فخاصمنه زمنا طويلا من النهار فأبي إلا إبرار قسمه ، فخرجت إليه أوقحهن فرمي بثيابها إليها ، ثم تتابعن حتي بقيت عنيزة وأقسمت عليه فقال : يا ابنه الكرام لا بد لك من أن تفعلي مثل ما فعلن ، فخرجت إليه فرآها مقبلة ومدبرة ، فلما لبـــسن ثيابهن أخذن في عذله " لومه " أو قلن : قد جوعتنا وأخرتنا عن الحي .

فقال لهن : لو عقرت راحلتي أتأكلن ؟

قلن : نعم .

فعقر راحلته ونحرها ، وجمعت الإماء الحطب وجعلن يشوين اللحم إلـــي أن شـــبعن ، وكانت معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها ، فلما ارتحلـــن قـــسمن أمتعته فبقي هو دون راحلة ، فقال لعنيزة : يا ابنة الكرام لا بد لك من أن تحمليني ، وألحت عليها صواحبها أن تحمله علـــي مقدم هودجها ، فحملته ، فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها ويشمها وذكر هذه القصة في أثناء القصيدة .

شعره :

نشأ امرؤ القيس في صميم العرب الخلص ، فسمع الأشعار ورواها ، وتطلعت نفسه إلي مساجلة الشعراء فقال الشعر وهو صغير السن .

- وكـــان جزل الألفاظ كثير الغريب ، جيد السبك ، سريع الخاطر ، بديـــع الخيال بليغ التشبيه ، وقد فتقت الأسفار والأخطار والمخالطة قـــريحته ، فاســـتنبط المعانـــي الجديـــدة ، ونهج المذاهب الحديثة ، وارتـــسمت فـــي شعره محدثات عصره فنسبت إليه لنبوغه وتفوقه وجاهـــه ، فقالوا إنه أول من وقف علي الأطلال وبكي علي الديار .

يؤكد ذلك مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوي بين الدخول فحومل

فقـــد عـــد القدماء هذا المطلع من مبتكراته إذ وقف واستوقف وبكي وأبكي من معه وذكر الحبيب والمنزل .

- وقالـــوا إنه أول من شبب بالنساء وشبههن بالمها والظباء ، وأجاد وصف الليل والخيل لكثرة ركوبه وكثرة أسفاره .

- وإنـــك لـــتجد في شعره صورة كاملة من حياته وخلقه ، فهو في غزله داعر فاجر يصرح ولا يلمح ، ويكشف ولا يتعفف كمثل قوله:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلـــي
تقول وقد مال الغبيط بنا معـــاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعـــلل
فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محـــول
إذا ما بكي من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحـــول

- وهو يذكر في جزء كبير من معلقته مثل هذه الأبيات وأكثر منها تصريحا أما كرمه فكمثل كرم الملوك يذبح راحلته للعذاري ويذهب للـــصيد فيصطاد ويتركه لأصحابه يأكلون غير عابئ ولا مهتم ولا شحيح ، حيث يقول :

فألحقنا بالهاديـــات ودونـــــه جواحرها في صرة لم تزيل
فعادي عداءً بين ثور ونعجـــة دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل
فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

- أمـــا وصـــفه ففيه دقة ناحتي التماثيل حتي يخيل إليك وأن تسمع وصفه أنك تنظر إلي تمثال أمامك واضحة فيه كل التفاصيل الدقيقة . تجلي ذلك في وصفه لليل ، وفي وصفه لفرسه ..... الخ

إذ يقول :

وليل كموج البحر أرخي سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلـــي

فقلت له لما تمطـــي بصلبـــــه وأردف أعجازا وناء بكلكـــل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلـــى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيالك من ليـــل كـــأن نجومـــــه بكل مغار الفتل شدت بيذبـــــل

فهـــو يتصور الليل بسواده وهمومه كأنه أمواج لا تنتهي ويحس وأنه طـــال وأســـرف في الطول حتى ليظن أن نجومه شدت بأحبال إلي الجبال فهي لا تتحرك ولا تزول .

وعلي مثل هذا النسق تسير مطولته في العديد من الأغراض الشعرية وفـــيما سبق ما يدلك علي قيمة امرئ القيس فهو الذي نهج للشعراء الجاهليين الحديث في عديد من الأغراض اخترعها هو ، لذا يعد أباً للشعر الجاهلي بل للشعر العربي جميعه فقد استوي عنده في صورة رائعـــة , ســـواء مـــن حيث سبقه إلي فنون أجاد فيها , أو من حيث قدرته علي الوصف والتشبيه ..... الخ .

(٢) طرفة بن العبد

الشاعر طرفة : هو عمرو بن العبد بن سفيان يمتد نسبه إلي بكر بن وائل ليصله إلي ربيعة فهو واحد من شعراء ربيعة [١].

وطـــرفة بالتحـــريك لقبه وهي واحدة الطرفاء وهو نوع من الشجر والعرب كانت تسمي أبناءها بما غلظ و خشن من الشجر تفاؤلاً نحو طلحة وسمرة وقتادة ، كما تسمي بأسماء الحيوان وخاصة ما يستكره مـــنها كأسد وحنظلة وحرب وعلقمة لأنها تشعر بالشدة والقوة لدي سامعيها بينما يسمون عبيدهم بما يستحب كرباح وأيمن ، وذلك لأنها سمت أبنائها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها [٢]

نـــشأ طرفة يتيماً من أبيه فكفله أعمامه فأهملوا تربيته وأساءوا أدبه فـــشب مـــيالا إلي الدعة والتبطل ، عاكفا علي اللهو والخمر مولعاً بالوقوع في أعراض الناس.

وكان طرفة من أسرة شاعرة نبغ فيها أكثر من شاعر ، لذا فقد كان شاعراً جريئاً علي الشعر وكيف لا وخاله المتلمس الضبعي الشاعر المشهور ، وأخته الخرنق شاعرة و عمه المرقش الأصغر والمرقش

---

[١] الـــشعر والـــشعراء جـــــ١ صـــــــ١٩١ تحقيق أحمد شاكر ط دار التراث العربي ١٩٧٧ .

[٢] الاشتقاق لابن دريد صـــــــ٤ تحقيق عبد السلام هارون الناشر مؤسسة الخانجي سنة ١٩٥٨ م.

الأكبر عم المرقش الأصغر وهما شاعران , ومن أسرته الحارث بن حلـزة صـاحب المعلقة فورث بذلك الموهبة الفنية كما يرث الناس المال والشرف.

كانـت أخت طرفة متزوجة من رجل يسمي عبد عمرو بن بشر بن عمـرو بـن مرثد وكان هذا الرجل سيد أهل زمانه وكان من أحب الـناس إلـي عمرو بن هند الملك فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجهـا إلي طرفة فعاب عبد عمرو وهجاه فخرج مرة عبد عمرو يصطاد مع عمرو بن هند فرمي صيداً فقال لعبد عمرو أنزل فأذبحه فحـاول عبد عمرو ولم يستطع وأعياه ذلك من التعب فضحك الملك وقال . لقد صدق طرفة حينما هجاك فقال :

ولا خير فيه غير أن له غني وأن له كشحاً إذا قام أهضمـا

تظل نساء الحي يعكفن حوله يقلن عسيب من سرارة ملهما

وكان طرفة قد هجا من قبل عمرو بن هند , فلما قال عمرو بن هند لعـبد عمرو ما قال طرفة قال : ما قال فيك أشد مما قال في، وأنشد هجاء طرفة لابن هند حيث يقول :

فليت لنا مكان الملك عمـرو رغوثا حول قبتنا تخـور

لعمرك إن قابوس بن هنـد ليخلط ملكه نوك كثـيـر

قسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يقصد أو يجور

فقال عمرو بن هند:أو قد بلغ من أمره أن يقول في مثل هذا الشعر ؟

فأرسل إلي طرفة وخاله المتلمس – وكان المتلمس قد هجاه أيضا – فأتـــياه فهش للقائهما يريد أن يؤمنها وأمر لكل منها بصلة وعطاء وأعطي كلاً منهما رسالة في يده إلي عامله بالبحرين ليأخذا الصلة منه ، ولكن الرسائل كان مكتوماً فيها أمر بقتلهما – وكانا لا يجيدان القـــراءة فلمـــا كانـــا في طريقهما إلي العامل ، داخل المتلمس من الـــصحيفة وسواس . وقال لطرفة " تعلمن والله أن ارتياح عمرو لي ولك لأمر مريب عندي ولن أنطلق بصحيفة لا أدري ما كتب فيها ؟ فقال طرفة : إنك لسيئ الظن ففك المتلمس ختم الصحيفة ثم جاء إلي غـــلام من أهل الحيرة فقال له : أتقرأ يا غلام ؟ فقال نعم . فأعطاه الـــصحيفة فقـــرأها فـــإذا فيها باسمك اللهم , من عمرو بن هند إلي المكعبـــر ، إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ثم أدفنه حياً فقال الغلام : أنت المتلمس؟ قال نعم ، قال النجاة بنفسك فقد أمر بقتلك ، فألقي الصحيفة في النهر ، ثم قال لطرفة معك والله مثلها فقال طرفة : لئن كان اجترأ عليك ما كان بالذي يجترئ علي ، وأبي أن يطـــيعه وخـــرج حتـــى أتي صاحب البحرين بكتابه ، فقال له صـــاحب البحرين ، إنك في حسب كريم وبيني وبين أهلك إخاء قديم وقد أمرت بقتلك فاهرب إذا خرجت من عندي فإن كتابك إن قرئ لم أجـــد بـــداً من أن أقتلك . فأبي طرفة أن يفعله ، فقتله وعمره ست وعشرون سنة ، وقيل عشرون فقط علي اختلاف في الروايات .

شـــعـــــره

طرفة صاحب شخصية واضحة في شعره , وصاحب مذهب واضح فـــي حياته فهو داعية من دعاة اللهو واللذة , وجمع إلي فتوة الشباب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم .

وكـــان طـــرفة منذ حداثته متوقد الذهن ، مضطرم الشعور ، حاد العاطفـــة ، سريع التأثر ، فنبغ في الشعر وعد من فحوله وهو دون العـــشرين ، ولكـــنه كعمرو بن كلثوم لم يشتهر إلا بمعلقته ، ولعله مكثراً وجهل الرواة أكثر شعره .

وقـــد عد ابن سلام في قمة الطبقة الرابعة طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد وقال عن طرفة : أما طرفة فأشعر الناس واحدة (قصيدة واحدة) وهي قوله :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد [١]

وشـــهد بذلك ابن قتيبة في كتابة الشعر والشعراء حيث قال : (قيل

---

(١) طبقات فحول الشعراء / السفر الأول صـــ ١٣٨.

للبـــيد بن ربيعة من أشعر العرب ؟ فقال الملك الضليل قيل ثم من ؟ قال ابن العشرين قيل ثم من؟ قال الشيخ أبو عقيل يعني بذلك نفسه[١] ويمتاز شعر طرفة بصدق الوصف ، والبعد عن الغلو والمبالغة فيه إلا أن تـــراكيبه كانـــت معقدة , ومعانيه مبهمة , وألفاظه غريبة نجد ذلك كله بوضوح حين تقرأ معلقته التي ابتدأها بالغزل ، ثم استطرد إلي وصف ناقته بأبيات كثيرة من خير عيون الشعر العربي ومبتكره ثم أمعن بعد ذلك في الفخر بنفسه ومعلقته من امتن الشعر وأبلغه

ومن أبياته في وصف ناقته :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره ... بعوجاء مرقال تروح وتغتـدي[٢]

أمون كألواح الإران نصأتهـــا ... علي لاحب كأنه ظهر برجـد[٣]

جمالية وجناء تـــــردي كأنهـــا ... سفنجة تبري لأزعـر أربـــد[٤]

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعـــت ... وظيفاً وظيفاً فوق مـــور معبد[٥]

---

(١) الشعر والشعراء جـــ١ صـــــ ١٩٥

[٢] الاحتضار : الحضور . والعوجاء : الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها . المرقال: مشي بين السير والعدو

[٣] الآمون : التي يؤمن عثارها . الإران : التابوت العظيم ــ نصأتها : زجرتها ، اللاحب : الطريق الواضح ، البرجد : كساء مخطط .

[٤] الجمالية : الناقة التي تشبه الجمل ، الوجناء المكتنزة اللحم ، الرديان : عدو الحمار السفنجة : النعامة ، تبري : تعرض ، الأزعر : القليل الشعر ، الأربد : الذي لونه لون الرماد .

تريع إلي صوت المهيب وتتقي بذي خصل روعات أكلف ملـبد[1]

ومن أبياته في الفخر بنفسه :

إذا القوم قالوا من فتي خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متي يسترفد القوم أرفد

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تلتمسني في الحوادنيت تصطد

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلي ذروة البيت الشريف المصمد

ومن أبياته التي يصف نفسه فيها باللهو وشرب الخمر حتى أتلف ماله وأصبح وحيد كالبعير الأجرب المطلي بالقار قوله :

ومازال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

إلي أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد

وأخيراً ينهي معلقته بهذه الحكمة :-

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وماذا كنا ننتظر من هذا الشاعر الشاب لو قدر له أن يعيش طويلاً وقد تفتحت شاعريته هذا لتفتح العبقري في تلك السن المبكرة التي عاجله الموت فيها ؟ .

---

[٥] العتاق جمع عتيق وهو الكريم ، الناجيات : المسرعات في السير ، الوظيف : ما بين الرسغ إلي الركبة ، المور : الطريق ، المعبد : المذلل .

[١] الريع : الرجوع ، الإهابة : دعاء الإبل وغيرها ، ذي خصل : يقصد الذئب ، الروع الإفزاع ، الأكلف : الذي يضرب إلي السواد ، ملبد : وبر متلبد

(٣) زهير بن أبي سلمي

هــو زهير بن أبي سلمي بن ربيعة بن رياح المزني ، أبوه من قبيلة مــزينة ولكــن زهيراً نشأ وتربي في أقارب أبيه من بني غطفان . وكان مشهوراً بحكمته وسداد رأيه ، ورزانته وحبه للسلام ، وقد نظم معلقته وهي الثالثة في المعلقات علي أثر الحرب التي دارت رحاها بين عبس وذبيان وتسمي حرب داحس والغبراء ، وداحس هو فرس قيس بن زهير سيد بن عبس ، والغبراء مهرة حمل بن بدر سيد بني ذبــيان ، ودارت الحــرب بسبب سباق داحس والغبراء ، وذلك أن زهيراً وحملا تراهنا علي مائة بعير يدفعها من يخسر السباق إلي من يربحه ، ولما كان اليوم المعين بعث حمل بن بدر من يكمن لداحس ويــرده عــن غايته إذا جاء سابقاً ، ثم أرسل الفرسان فبرز داحس وسبق الغبراء حتى شارف الغاية وقرب من النهاية ودنا من الكمين ، فوثبوا عليه وردوه فسبقت الغبراء .

وبعث حمل ابنه مالكاً إلي قيس يطلب منه حق السبق فأبي قيس دفعه وقــتل مالكاً ، فكان ذلك باعثاً علي الحرب ، وقد طالت هذه الحرب وكثر فيها القتلى حتى أصلح بين المتحاربين هرم بن سنان والحارث بن عوف ودفعا الديات من مالهما ، وقيل إنها بلغت ثلاثة آلاف بعير فــنظم زهيــر معلقته يمدح فيها المصلحين لحقنهما الدماء ، ويحذر الفريقين من شر الخيانة وإضمار الحرب ، وقد توسع في معلقته في

وصف الحرب ونتائجها المشئومة ثم ختم المعلقة بحكمه التي استحق بها لقب الشاعر الحكيم .

- وظل زهير طوال حياته يمدح هرماً ويمجده وأطنب في ذلك كثيراً ومن طريف ما يروي في ذلك أن هرماً " حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه : عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملأ قال : عموا صباحاً إلا هرماً وخيركم استثنيت " .

- وقال عمر بن الخطاب لبعض أولاد هرم : أنشدني بعض مدائح زهير في أبيك فأنشده . فقال عمر : إنه كان ليحسن فيكم القول .

فقال : والله ونحن كنا نحسن له العطاء ، فقال عمر : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

- وكان زهير وثنياً مثله مثل قومه ، غير أن له أبياتاً تدل علي إيمانه بالله واليوم الآخر وما فيه من حساب إذا يقول :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفي ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وقد عمر زهير طويلاً حتى زاد عمره علي المائة وذلك مأخوذ من شعره في قوله :

بدالي أني عشت تسعين حجة تباعاً وعشراً عشتها وثمانيا

فيكون مجموع ما ذكر مائة وثمانية أعوام ، وتوفي قبل الإسلام بفترة قليلة ، أما ولداه كعب وبجير فقد أدركا الإسلام وأسلما وحسن إسلامهما .

شعره :

عاش زهير للشعر يرويه ويعلمه ، فقد ذهب القدماء إلي القول بأنه كان يروي شعر زوج أمه أوس بن حجر الشاعر التميمي المشهور ، كما كان يروي شعر طفيل الغنوي المعروف بالبراعة في الوصف خاصة الخيل والصيد ، وأيضا فإنه كان يروي شعر خاله بشامة بن الغدير أضف إلي ذلك أنه علم ابنه كعباً الشعر وتتلمذ علي يديه الحطيئة الشاعر المعروف بكثرة أهاجيه ..... الخ

إذن فقد خرج زهير من بيت عريق في الشعر وذلك لم يكن لغيره من الشعراء . ففي الناس من يفضله علي امرئ القيس والنابغة وذلك لأن شعره يمتاز بصدق اللهجة ، وحكمة المجرب ، ودقة المصور ووقار العالم ، كما يمتاز شعره بألفاظ محكمة وصيغ مجودة خلت من الحوشي والتعقيد ، وبعدت عن السخف والمبتذل والمهجور ، واستطاع زهير أن يؤدي أجمل صورة للشعر الجاهلي في لفظه وقوالبه وصيغه ، وقد حكي القدماء عنه في ذلك كثيرا فقالوا إنه كان يضع قصائده الطويلة في حول كامل . وله قصائد سبع تسمي

" الحوليات " يزعمون أنه كان ينظمها في أربعة أشهر ، ويهذبها في أربعة أشهر ، ثم يعرضها علي خاصة الشعراء في أربعة أشهر فلا ينشدها الناس إلا بعد حول .

- ويعلق الجاحظ علي شعر زهير فيقول : (من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كاملاً وزمنا طويلا يردد فيها نظرة ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه ..... وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات .....)

ويروى عن عمر بن الخطاب قوله : (زهير شاعر الشعراء لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه) .

- ومعلقة زهير موضوعها الأساسي مدح الحارث وهرم لسعيهما بالصلح بين المتحاربين من عبس وذبيان ومع ذلك بدأها الشاعر بالوقوف علي الأطلال كعادة الجاهليين فقال :

أمن أم أوفي دمنة لم تكلم بحومانة الدراج بالمتثلم

ويقول إنه أتاها (الدمنة أو الأطلال) بعد عشرين سنة فلم يعرفها إلا بعد مشقة لطول عهده بها . فيقول :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

ثـــم يتابع أبياته في استحضار تلك الذكريات التي تمثلت في خاطره فكأنهـــا ماثلـــة أمام عينيه فيصف الطرق التي سلكها وراء الظعائن والمحبوبات والمنازل التي نزلتها وهو وراءهم .

ثـــم ينـــتقل إلي فكرة الصلح وإلي الرجلين اللذين حقنا بالصلح دماء العـــشائر لاهجاً بالثناء عليهما والمدح لهما ، فكان بذلك شذوذاً علي قاعـــدة الجاهليين التي تدعو دائماً إلي الأخذ بالثار وإيقاد نار الحرب لأتفه الأسباب فيقول :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

يمينا لنعم السيدان وجدتمـــــا علي كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبساً وذبيان بعدمـــا تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

ثم ينتقل من مدحهما إلي دعوة الخصوم إلي رأب الصدع ولم الشمل وعدم إضمار الحرب ، ويخوفهم من ذلك بتصوير الحرب في أبشع صورها ، وما تجره علي الناس من بوار وأضرار وأوزار .

- وأخيـــراً تغلـــب علـــيه نزعته الإنسانية والصورة المثالية للسيد الفاضـــل فينـــتقل بشعره إلي مجموعة من الحكم والدعوة إلي مكارم الأخلاق فيقف موقف الحكيم الذي برم بالحياة وتفكر في الموت فيبدأ في الوعظ فيقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعـــش ثمانين حولاً لا أبالك يســـأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهـرم

ومن لم يصانع في أمور كثـــيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنســـم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتـــم
ومن يك ذا فضل فيبخـل بفضلـــه علي قومه يستغن عنه ويذمـــم
ومن هاب أســباب المنايـا ينلنـــه وإن يرق أسباب السماء بسلـــم
ومن يجعل المعروف في غير أهلـه يكن حمده ذمـا عليـه ويـنـدم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحـــه يهدم ومن لا يظلم الناس يظـلـم
ومهما تكن عند امرئ من خليقـــة وإن خالها تخفي علي الناس تعلم

ثم يأتي ببيت فيه معني حديث النبي " ﷺ " : " المرء بأصغريه قلبه ولسانه " إن صح الحديث فيقول:-

لسان الفتي نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وأخيراً فقد انتهي الشعر الجاهلي عند زهير إلي صورة رفيعة للخير والحق والجمال علي خلاف ما عهد في أشعار الجاهليين كافة .

(٤) لبيد

هــو أبــو عقيل لبيد بن ربيعة العامري ، كان من شعراء الجاهلية المعدودين ، وعنه يقول الزيات : (نشأ ربيب الندي والبأس ، فأبوه ربــيعه المعتــرين وعمه ملاعب الأسنة فارس مضر ، وسبب قوله الــشعر أن الــربيع بن زياد أمير عبس – وهم أخواله – دخل علي الــنعمان بــن المنذر فذكر بالسوء بني عامر وهم قومه ، فلما دخل العامــريون علــي الملك وعلي رأسهم ملاعب الأسنة غض منهم ، وذوي وجهــه عنهم ، فنال ذلك من بني عامر وشق عليهم ، وكان لبــيد يومئذ صغيراً فسألهم أن يشركوه في أمرهم فاستصغروه ولما ألــح فــي المسألة أجابوه ، فوعدهم أن ينتقم لهم بهجاء الربيع حتي يحول بينه وبين منادمة الملك . فقالوا له إنا نبلوك، فقال: وما ذاك؟ قالــوا : تشتم هذه البقلة ، وأمامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق ، لاصــقة بالأرض ، تدعي الثربة . فقال : " هذه الثربة لا تذكي ناراً ولا تــؤهل داراً ولا تــستر جاراً ، عودها ضئيل ، وخيرها قليل ، وفرعها كليل ، أقبح البقول مرعي ، وأقصرها فرعا ، وأشدها قلعا " فأذنوا له فهجاه بأرجوزة مقذعة أولها :

مهلا – أبيت اللعن– لا تأكل معه ..... الخ

فنفــر مــنه الملك ومقته وطرده وأكرم العامريين وأدناهم ، قالوا : وكان هذا أول ما اشتهر به لبيد ، ثم أخذ يقول الشعر قصاره وطواله

حتي ظهر الإسلام فأقبل علي الرسول في وفد من قومه فأسلم وحفظ القــرآن وهجــر الشعر حتي زعموا أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتي لبست من الإسلام سربالا

ولذلك عد جاهلياً وإن عمر في الإسلام طويلا . ولما مصرت الكوفة ذهــب إلــيها فــي خلافة عمر وأقام بها حتي توفي في أول خلافة معاويــة سنة ٤١هــ وقد عاش كما قيل مائة وخمسة وأربعين سنة حتي قال بحق :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟[١]

- ومعلقة لبيد هي الرابعة في المعلقات ، ولم ينظمها لأمر أو لحادثة معيــنة وإنمــا نظمها بدافع نفسي ، فصور فيها أخلاقه ومآتيه كما صور الحياة البدوية الساذجة ، والبدوي الأبي النفس العالي الهمة .

بدأ لبيد معلقته بوصف الديار المقفرة والأطلال البالية وما فعلت فيها الأمطار فكان قوله :

عفت الديار محلها فمقامها بمني تأبد غولها فرجامهــا

دمن تجرم بعد عهد أنيسها حجاج خلون حلالها وحرامهــا

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صما خوالد ما يبــين كلامهــا

---

[١] تاريخ الأدب العربي صـــ ٦٨ وما بعدها .

ثـــم انـــتقل من الوقوف بالأطلال إلي الغزل وذكر محبوبته " نوار " وبعدها عنه فقال :

بل ما تذكر من نوار وقد نأت وتقطعت أسبابها ورمامهـــا

مرية حلت بنـــيد وجـــاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها

ثـــم تخلص من الغزل إلي وصف ناقته فشبهها بسحابة حمراء خالية مـــن المـــاء تدفعها الريح فتنطلق بسرعة ، وبأتان " أنثي الحمار " وحـــشية نـــشيطة ، وببقرة افترس السبع ولدها ، كما صور العراك الذي وقع بينهما وبين الكلاب التي طاردتها تصويراً قصصيا جميلاً، ووصف ناقته هو أهم قسم في معلقته .

ثم تحول إلي وصف نفسه وما فيها من هدوء واضطراب ، ووصف لهـــوه وشربه الخمر وبطشه وسرعة جواده وكرمه ، وانتهي بمدح قـــومه والفخـــر بكرمهم وأمانتهم فكان مجيداً في تشبيهاته القصصية صادقاً في عاطفته .

شعره

كـــان لبـــيد موسوماً بسمات منها رجاحة العقل ،ونبل النفس وكثرة المروءة ، كريماً جواداً ، وجاء شعر لبيد صورة صادقة لكل ما اتسم بـــه مـــن أخلاق فسالت أخلاقه وعواطفه في شعره ، وتمثلت معاني النبل والكرم في فخره .

فجاءت ألفاظه قوية منتقاة ، مضموماً بعضها إلي بعض بدقة وعناية لـذا جـاء أسـلوبه متيناً فخم العبارة ، قليل الحشو ، تزينه الحكمة العالية، والموعظة الحسنة والكلم النوابغ .

وذلك مثل قوله :

من معشر سنت لهم آباؤهـم ولكل قـوم سنـة وإمامهـا
لا يطبعون ولا يبور فعالهـم إذ لا يميل مع الهوي أحلامهـا
فاقنع بما قسم المليك فإنمـا قسم الخلائق بيننـا علامهـا
وإذا الأمانة قسمت في معشـر أوفي بأوفر حظنـا قسامهـا
فبني لنا بيتاً رفيعـاً سمكـه قسما إليه كهلهـا وغلامهـا
وهم السعاة إذا العشيرة أفظعت وهم فوارسها وهم حكامهـا
وهم ربيع للمجاور فيهـم والمرملات إذا تطـاول عامهـا
وهم العشيرة أن يبطـئ حاسد أو أن يميل مع العدو لئامهـا

نجد الشاعر وقد ختم معلقته بفخره بقومه وبث الحكمة من حين إلي آخر كل ذلك في صدق وإخلاص وقصد .

(٥) عمرو بن كلثوم

هــو أبو عباد عمرو بن كلثوم بن عتاب بن مالك التغلبي ، كان من أكثــر العرب ترفعاً وإباء وعزة نفس ، لذا شب علي خلال العظماء وأخلاقهــم يأبــى الضيم والذل ، وما كاد يناهز الخامسة عشرة من عمره حتى ساد قومه وقاد قبيلته .

ومعلقته هي الخامسة في المعلقات ، أنشأ قسماً منها في حضرة الملك عمــرو بن هند ، وعنده وفود من قبيلتي تغلب وبكر للصلح بعد ما قامت بينهما حروب البسوس حوالي أربعين سنة وكان والد عمر بن هــند قد أصلح بين القبيلتين قبل ذلك ، ولكن خشي أن تعود الحرب بيــنهما فأخــذ والــد عمرو من كل قبيلة مائة غلام رهائن حتى إذا اعــتدت إحداهما علي الأخرى أخذ الدية من الرهائن ، وسار عمرو بن هند علي خطة أبيه في هذا الارتهان .

وذات يــوم سير الملك ركباً من تغلب وبكر إلي جبال طيئ ، فأجلي البكــريون التغلبيــين عن الماء ودفعوهم إلي صحراء فــتاهوا فيها وماتــوا عطشاً ، فغضب بنو تغلب وطلبوا ديات أبنائهم ، فأبت قبيلة بكر دفع الدية ، فاحتكموا إلي عمرو بن هند , ولما كان يوم التقاضي انــتدبت تغلب شعرها وسيدها عمرو بن كلثوم للدفاع عنها وانتدبت بكــر أحــد أشــرافها (النعمان بن هرم) وكان عمرو بن هند يفضل

التغلبيين علي البكريين فوقع جدال بينه وبين النعمان غضب له الملك فطرد النعمان ، وأنشد عمرو بن كلثوم قسماً آخر من معلقته[١].

أمـــا القسم الآخر فقد زاده عليها بعد قتله لعمرو بن هند ، علي أثر محاولة أم الملك أن تستخدم ليلي أم عمرو بن كلثوم .

وذلك أن الملك قال لبعض خاصته : أتعلمون أحداً من العرب تأنف أمـــه من خدمة أمي ؟ فقالوا لا نعلم إلا ليلي أم عمرو بن كلثوم فإن أباهـــا مهلهـــل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل ، وزوجها كلثوم بن عـــتاب فـــارس العـــرب وابنها عمرو بن كلثوم سيد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلي عمرو بن كلثوم يطلب منه أن يأتي لزيارته ، وأن يـــصطحب أمـــه معـــه لتزور أمه ، فأقبل عمرو بن هند وأمه من الجزيرة في وفد من تغلب وأمر الملك برواق وخيمة كبيرة فضربت بين الحيرة والفرات وأرسل إلي وجوه مملكته فحضروا وكان عمرو ابـــن هند قد أغري أمه أن تستخدم ليلي بنت مهلهل في قضاء أمر ، فلمـــا دخلـــت عليها الرواق وجلست واطمأن بها المجلس قالت لها : ناوليني الطبق فأجابتها ليلي : لتقم صاحبة الحاجة إلي حاجتها ، فلما

---

[١] وقيل : إن الحارث بن حلزة شاعر بني بكر كان موجودا فقام وألقي معلقته المشهورة فعطف هوي الملك إلي قومه وكان يحب التغلبيين فانصرف عمرو بن كلثوم وهو موغر الصدر علي ابن هند .

ألحـــت عليها صاحت ليلي : واذلاه فسمعها ولدها فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه .

ولمعلقـــة عمـــرو بن كلثوم قيمة تاريخية كبيرة فهي تدلنا علي حالة العـــرب مـــن حيث الدين والاجتماع والعادات والصناعات والألعاب فتخبـــرنا عـــن طـــواف النساء حول الصنم وعن الرقص الديني ، ومـــرافقة النـــساء للـــرجال في الحرب وعن لعب الصبيان بسيوف الخشب وقذف الكرة وغير ذلك من الفوائد التاريخية .

شعـــــره

شـــعر عمـــرو بـــن كلـــثوم قلـــيل ولم يؤثر عنه إلا معلقته وبعض مقطوعات من الشعر لا تخرج عن موضوع المعلقة إلا أن ما روي عنه من شعر يغلب عليه غمر البديهة وقلة الصنعة رائق الأسلوب ، نبيل الغرض عذب السليقة .

ومعلقته مستهلة علي غير عادة العرب بذكر الخمر حيث يقول :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

مشعشعة كأن الحصي فيها إذا الماء خالطها سخينا

تجور بذي اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينـــا

ثم خلص إلي الغزل فقال :

قفي قبـــل التفـــرق يا ظعينـــا نخـــبرك اليقـــين وتخبرنـــا

قفي نسآلك هل أحدثت صرمـــا لوشك البين أم خنت الأمينا

ثم يصف أمره مع عمرو بن هند وافتخاره بنفسه وقومه فيقول:

ألا لا يعـلـم الأقـوام أنـا تضعضعنا وأنا قـد ونينـــا
ألا لا يجهـلن أحـــد علينا فنجهل فوق جهـل الجاهلينا
بأي مشيئة عمرو بـن هند نكـون لقيلكم فيهـا قطينـا
بأي مشيئة عمرو بـن هند تطيع بنا الوشاة وتـزدرينا
تهددنا وأوعـدنا رويـــدا متـى كنـا لأمـك مقتوينا
فإن قناتنا يا عمـرو أعيت علي الأعداء قبلك أن تلينـا
ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينـا
ورثت مهلهلا والخير منـه زهيراً نعم ذخـر الزاخرينـا
وعتابـا وكلثومـا جميعـا بهـم نلنا تـراث الأكرمينـا
ومنا قبلـه الساعي كلـيب فأي المجـد إلا قـد ولينـا
ونحن الحاكمـون إذا أطعنا ونحن العازمون إذ عصينـا
ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينـا
وكنا الأيمنيـن إذا التقينـا وكان الأيسرين بنـوا أبينـا

ولقد اهتمت العرب بتلك المعلقة وتناقلتها الألسنة ، وأكثر بنو تغلب من إنشادها وراويتها حتى قال فيهم الشاعر :

ألهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كـــان أولهم يا للرجال لشعر غير مسنوم

وكانت وفاة عمرو بن كلثوم في أواخر القرن السادس الميلادي .

(٦) عنـــترة

هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي ، وكنيته أبو المغلس ، أبوه من أشـــراف القبـــيلة ولكن أمه كانت أمة حبشية تدعى زبيبة ، فهو من هجناء العرب وأغربتهم ، كان أبوه قد استعبده على عادة العرب في اســـتعباد أبـــناء الإمـــاء ، ولكنه نزع بنفسه عن حال العبودية وأخذ يروض نفسه على الطراد والفروسية حتى أصبح مسعر حرب وقائد كتيـــبة واتفق أن أغار قوم من العرب على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلهم فتبعهم العبسيون وعنترة معهم يومئذ ، فقال له أبوه : كـــر يـــا عنترة ، فأجابه : العبد لا يحسن الكر ، وإنما يحسن الحلب والصر ، فقال له : كر وأنت حر : فكر وقاتل قتالاً شديداً حتى هزم المغيـــرين واســـترجع الإبل ، فادعاه أبوه وألحقه بنسبه وعرف من يومها بعنترة بن شداد وأخذ اسمه منذ يومئذ يسير وذكره يطير حتى أصبح مضرب المثل في الإقدام والجرأة .

يقـــول الـــزيات : (وله في تعليل شهرته وشجاعته رأي حصيف لا بأس بذكره . قال له قائل : أنت أشجع الناس وأشدهم ، فقال له : لا قـــال : فلمـــاذا شاع لك هذا بين الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ، ولا أدخل موضعا لا

أري لـــي مـــنه مخـــرجا ، وكـــنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فاقتله) [١]

شعـــره

كـــان عنترة بطلا شجاعاً كبير النفس ، رقيق القلب ، رحب الصدر عفـــيفاً وقـــد أحب عبلة ابنة عمه مالك ، واستولى حبها علي قلبه ، وجـــاش الشعر في صدره ، فهاجت شاعريته ، واتسع خياله فجري الشعر علي لسانه في الحرب وفي الفخر ، وفي الحب ، فتجد لغزله حـــلاوة ، ولفخـــره مـــتانة ، ولألفاظه سهولة ، بالإضافة إلي حسن الانـــسجام ، ومـــتانة التعبير ، والموسيقي مما جعل العرب يسمون معلقته بالذهبية .

* وأشـــهر شعر عنترة معلقته وهي السادسة في المعلقات ، ولم يرو عنه في عبوديته شيئ من الشعر لا جيد ولا ردئ .

* قـــيل فـــي سبب نظمه لمعلقته : أنه كان في أحد الأيام في مجلس بعـــد أن كـــان قد أبلي في حروبه بلاء حسناً فشاتمه رجل من بني عـــبس ، وعيـــره بسواده وسواد أمه وأخوته ، وأنه لا يقول الشعر فسبه عنترة وفخر عليه وقال له :إني لأحضر البأس، وأوفي المغنم ، وأعـــف عند المسألة ، وأجود بما ملكت يدي ..... فقال له الساب :

---

[١] تاريخ الأدب العربي صـــ٥٨

أنا أشعر منك فقال عنترة : ستعلم ذلك ، ثم غدا على الناس بمذهبته المشهورة فقطع خصمه ونقض حكمه .

وانشأ معلقته فبدأ بذكر عبلة وبعد دارها فقال :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

فوقفت فيها ناقتي وكأنها ... فدن لأقضي حاجة المتلوم

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا ... بالحزن فالصمان فالمتثلم

حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

ثم ينتقل من غزله بعبلة ومن وقوفه بالأطلال إلى وصف ناقته ، ووصف نفسه بأنه لا يظلم ولا يجرؤ أحد على ظلمه وبأنه يشرب الخمر فيكون كريماً شريفاً في شربه وصحوه ، ثم وصف بطشه وصور فرسه تصويراً جميلاً رفعة فيه إلى درجة الإنسانية فقال :

لما رأيت القوم أقبل جمعهم ... يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتي تسربل بالدم

فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلى بعبرة وتحمحم

لوكان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي

ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

ثـــم يختم قصيدته بأن يشتفي لنفسه من الذين سبوه وشتموه وأنه ما مات حتى أخذ بثأره منهم فقال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة علي ابني ضمـــم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذا لـــم القهما دمـــي
إن يفعلا فلقد تركت أباهمـــــا جزر السباع وكل نســـر قشعـــم

عـــاش عنتـــرة قائداً لكتيبة عبس في حرب داحس والغبراء فأحسن القـــيادة وبلغ أوج السيادة ، ثم امتد به العمر حتى وهن عظمه ورق جلده ، وقتل حوالي سنة ٦١٥م .

(٧) الحارث بن حلزة

هــو أبــو الظليم الحارث بن ظليم بن حلزة اليشكري البكري ، كان شديد الفخر بقومه حتي ضرب به المثل فقيل : أفخر من الحارث بن حلزة وكانت مكانته في قبيلة بكر كمكانة عمرو بن كلثوم في تغلب ، ومعلقته ارتجلها دون إعداد مسبق ، في حضرة الملك عمرو بن هند حيــنما اجــتمعت بكر وتغلب عنده للصلح ، وأنشد الحارث معلقته ليــستدر بها عطف عمرو بن هند علي قبيلته " بكر " لأنه كان يعلم حــبه للتغلبيــين ، وبالفعل استطاع الحارث أن يثني الملك لصالحه بعدما أجاد في مدحه حتى استولي علي رأيه واستل من قلبه سخيمة غرسها تهور النعمان بن هرم زعيم قومه .

* ويقال أنه أنشدها وهو متكئ علي قوسه وقد اقتطعت كفه وهو لا يشعر من الغضب .

*ويقــول الزوزنــي شارح المعلقات السبع إنه (أنشدها في حضرة الملــك عمرو بن هند ، ورداً علي عمرو بن كلثوم وغضباً لقومه ، وكان عمرو بن كلثوم قد تجاوز الحد في فخره ولم يرع حرمه الملك فتــصدي لــه الحارث بمعلقته ، وكان قد أعدها ورواها جماعة من قــومه ، لينشدوها عنه لأنه كان به برص ، وكره أن ينشدها الملك من وراء سبعة ستور ثم يغسل أثره بالماء ، كما يفعل بسائر البرص ولما طرد الملك النعمان بن هرم شاعر البكريين لإساءته إليه ، خاف

الحـــارث علي قومه ، وقام ينشد بين يدي الملك من وراء الستور ، فأصـــلح ما أفسده النعمان ، وكان لقصيدته وقع حسن في نفس الملك حتـــي رفـــع الستور التي كانت بينهما وأدناه منه وأطعمه في جفنته وأمر ألا ينضح أثره بالماء) [١]

وقد عمر الحارث طويلاً حتي زعم الأصمعي أنه أنشد هذه القصيدة وله من العمر خمس وثلاثون ومائة .

شعـــره

دلـــت معلقـــة الحارث علي ما به من الدهاء ، فقد امتلأت القصيدة بالـــدهاء فـــي التعريض بالتغلبيين وسرد الحوادث التاريخية ، ومن الحكمـــة والـــرزانة مـــا يجعلها في مصاف الشعر الخطابي ، وهي أفضل مثال للشعر السياسي في العصر الجاهلي .

وقـــد بلغـــت معلقة الحارث من الإعجاب مكاناً بعيداً ، وذلك لإحكام نسجها ، وتشعب فنونها وارتجالها في موقف واحد .

وقـــد بـــدأ معلقـــته بالغـــزل إلي وصف ناقته ، علي عادة الشعراء الجاهلين فقال:

آذنتنا ببينهـــا أسمـــاء	رب ثاو يمل منه الثواء
بعد عهد لنا ببرقة شما	ء فأدني ديارها الخلصاء

---

[١] شرح المعلقات السبع / الزوزني صـــ ٢١٥ ط دار الجيل

ثم يتحول من الغزل إلي وصف ناقته ، علي عادة الشعراء أيضا في أنهم كانوا يصفون رواحلهم خلال رحلتهم إلي الممدوح فيقول :

غيرأني قـد أستعين علي الهـم إذا خف بالـثوي النجـاء
بزفوف كأنها هقل أمـ م رئـال دويـة سقفـاء
آنست نبأة وأفزعها القـ ناص عصراً وقد دنا الإمساء
فتري خلفها من الرجع والوقـ ع فينـا كـأنـه إهبـاء

ثـم عير التغلبين بالمواقع التي انتصروا عليهم فيها ، وأتي بعد ذلك علـي كثير من أيام العرب ، ثم مدح عمرو بن هند وافتخر بقومه ، وحسن بلائهم عنده ، فكان مما قال في ذلك :

ملك مقسط وأفضل من يمـ شي ومن دون ما لديه الثنـاء
ملك أضرع البرية لا يـو جد فيها لمـا لديـه كفـاء
أيها الناطـق المبلغ عنـا عند عمرو وهل لذاك انتهـاء
من لنا عنده من الخير آيـا ت ثلاث في كلهـن القضـاء

ويظـل يفخـر بقومه ، وبانتصاراتهم وبآبائهم وأجدادهم ، ثم يفخر بأبنائهم علي غير عادة العرب إلي أن يختم قصيدته بقوله:

وهو الرب والشهيد علي يـو م الحيزين والبلاء بلاء

المدرسة الثانية : مدرسة الشعراء الصعاليك

الصعاليك جمع صعلوك ، والصعلوك هو من لا مال له , بيد أن هذه اللفظة " الصعاليك " حينما تذكر في العصر الجاهلي فإنها لا تفق عند حدود معناها اللغوي ، بل تنصرف إلي مجموعة كبيرة من الشعراء عرفت بهذا الاسم.

وهؤلاء الشعراء الصعاليك خليط ممن لفظتهم قبائلهم وطردتهم لأنهم ارتكبوا من الجرائم والجنايات مالا يستحقون به شرف الانتساب إلي قبيلة بعينها , ومن الذين ولدوا لأمهات من الإماء الحبشيات السود ، فلم يعترف بهم آباؤهم لما في ذلك من العار لهم , ومن الذين احترفوا الصعلكة احترافاً لا لشئ مما سبق وإنما اتخذوا الصعلكة حرفة ومهنة.

أذن الصعاليك خليط من ثلاثة أجناس إلا أنهم اجتمعوا علي شئ واحد وهو الضيق بالفقر والرق والجوع والطبقية بين أغنياء القبيلة وفقرائها فثارت أنفسهم علي الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة أنذاك ، واحترفوا الصعلكة واللصوصية.

والشعراء الصعاليك عرفوا بالقوة والشجاعة والصبر عند البأس والفتوة وسرعة العدو " الجري " حتي ضرب بهم المثل في ذلك , فاتخذوا من تلك الصفات السابقة ومن حقدهم علي الأغنياء طريقاً

للحصول على كل ما أرادوا عن طريق البطش والقوة والسلب والنهب وكل ما حرموا منه.

ومن هؤلاء الشعراء : الشنفري ، وتأبط شراً , وعروة بن الورد العبسي، وسليك بن السلكة ، وحاجز الأزدي وغيرهم , وتسموا بأسماء أخرى غير الصعاليك مثل العدائين ، أو ذؤبان العرب , أو اللصوص ، وذلك لما عرفوا به من سرعة الحركة والخفة وحسن ركوب الخيل والمعرفة بدروب الصحراء ، والإغارة على القوافل التجارية , أو قوافل الحجيج المتجهة إلى مكة ، أو المناطق الخصبة.

ولهؤلاء الشعراء أشعار كثيرة منثورة في كتب الأدب وتروي لهم مغامرات مختلفة , وكثيراً وكانوا يتغنون بهذه المغامرات في أشعارهم ونراهم في أثناء ذلك يتمدحون بالكرم , وبالترفع والشعور بالكرامة والبر بالأقارب والأهل وكانت الصعلكة في نظرهم ليست عيباً , بل هي من دواعي فخرهم وأسباب أنفتهم وكأنهم أرادوا أن يقولوا نحن نصبر علي الجوع خير لنا من أن يكون لأحد يد علينا ، فإذا وجدوا الطعام آثروا به غيرهم من الأولاد والنساء وفي ذلك يقول شاعرهم :

وإني لأثوي الجوع حتي يملني ... فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي

وأغتبق الماء القراح فأتقي ... إذا الزاد أمسي للمزلج ذا طعم[1]

---

[1] المزلج : البخيل .

أرد شجاع البطن قد تعلمينـــــه وأوثر غيري من عيالك بالطعـــم
مخافة أن أحيا برغم ذلـــــــة وللموت خير من حياة على رغـم

من الشعراء الصعاليك

(١) الشنفرى

هــو ثابــت بن أوس الأزدي ، من بني الإواس بن الحجر بن الأزد ولقب بالشنفري لغلظ شفتيه وتلك سمة أبناء الحبشيات وهــو مـــن " أغربة العرب " لأن أمه كانت أمة حبشية فورث منها الســـواد.

عــاش الشنفري لصاً صعلوكاً مهاب الجانب يخافه الناس ، وعاصر شــاعرين مــشهورين هما " تأبط شراً " و " أبو خراش الهذلي " ويقال أن الذي روضه علي الصعلكة وقطع الطرق تأبط شراً , فكان يغير معه ، حتي صار لا يوقف في وجهه ولا يقام لسبيله.

وتذكــر الــروايات أنــه لم يعرف حياة الاستقرار والدعة والانتماء الاجتماعــي ، لما أحاطت به من ظروف منذ نشأته أدت به إلي ذلك ومن ذلك ما تحدثنا به الروايات التي منها : أن أباه قتل بأيد من بني عمومته أي من بني سلامان بن مفرج الأزدي , ولم تجد أمه نصيراً يأخذ بثأره فانتقلت به إلى بني " فهم " قوم تأبط شراً وراح يعد نفسه للانتقام منهم فحلف أن يقتل منهم مائة , وأخذ يترصد بهم حتى قتل مــنهم تــسعة وتسعين ، ثم استطاعوا أن يصنعوا له كمين فوقع فيه فقــتلوه ومثلوا بجسده وقطعوه ورموه للسباع , ويقال إن رجلاً وجد جمجمــته فــركلها بقدمه فعقرته " أي دخلت شظية منها في قدمه " فمات فتم بذلك المائة.

وتـــروي روايات أخري غير ذلك فتقول : إنه تزوج امرأة من بني ســـلامان فخاف أبوها أن يقتله قومه لأنه زوج ابنته للشنفري فأقسم لهـــا ولـــه إن قـــتلوه ليقتلن منهم به مائة , فلما قتل بنو سلامان أبا زوجته استنجزته زوجته وحثته علي الوفاء بوعده والبر بقسمه فظل يقـــتل منهم حتي تسعة وتسعين وقيل مائة. ولقد حظي الشنفري من بين الصعاليك بمكانة كبيرة , فقد جمع صفات الصعلكة بدرجة تفوق بها عليهم جميعاً مما جعل مكانه بينهم بارزاً وظل تاريخه فيما ولي المجتمع الجاهلي من مجتمعات وعصور.

وللشنفري شعر كثير في الغزل والفخر والعدو والفتك ، وفي الحكمة والعفـــة وغيرها من الموضوعات التي تتجاوب أصداؤها مع حياته في الإغارة والصعلكة. ولكن من أكثر أشعاره شهرة قصيدته " لامية العرب " والتي بدأها بقوله :

أقيموا بني أمي صـــدور مطيـــكـــم

فإني إلي قوم سواكم لأميـــــل

فقد حـــمت الحاجات والليـــل مقمـــر

وشدت لطيات مطايا وأرحـــــل

وفي الأرض منأى للكريم عـــن الأذى

وفيها لمن خاف القلـــــي متعزل

لعمرك ما في الأرض ضيق علي امرئ

سري راغبا أو راهبا وهو يعقل

ولهـــذه القصيدة أهمية كبيرة حيث إنها تسجل حياة وتاريخ طائفة من العرب وليست هناك قصيدة في الشعر العربي تنافسها في موضوعها وفي مقدرتها علي تصوير لون من الحياة العربية هي"حياة الصعلكة" وممـــا يقـــال إن اللامية تعرضت في القديم لمحاولات تشبه السطو، ولكـــنها لم تنجح وظل المجتمع يعرف القصيدة للشنفري ولا يرتاب في ذلك.

والـــشنفري مـــثال للـــشاعر الواقعي الذي يعيش علي الفطرة ويمثل الـــبداوة ويألـــف الغابـــات, ويعايش السباع والضواري فيأتي شعره صورة لحياته كقوله مخاطباً أهله يخبرهم بأنه اتخذ أهلاً غيرهم ، بيد أن أهله الجدد هم من السباع كالذئاب والنمور والضباع :

ولي دونكم أهلون سيد عملـــــس وأرقط زهلول وعرفاء جيـــــال

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخـــذل

وكل أبي باسل غير أننـــــــي إذا عرضت أولي الطرائد أبســـل

وإن مدت الأيدي إلي الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجـــل

والشنفري علي خشونته شاعر صادق التعبير, دقيق التصوير, خشن الألفاظ والمعاني.

(٢) تأبط شرا

وهـو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي " من قبيلة فهم " وهي إحدى القبائل المضرية , وهو من " أغربة العرب " لأنه كان ابن أمة سواء حبـشية , وقـيل إن أمـه كانت حره وتسمي " أميمة " وعرف هذا الشاعر بعدوه " سرعة جريه " وفتكه ولصوصيته .

(واخـتلف القدماء في تعليل لقبه " تأبط شرا " فقيل لقبته به أمه إذ تـأبط سيفاً وخرج فلما سئلت عنه قالت : تأبط شراً ومضي لوجهه، وقيل بل سمته أو لقبته بذلك لأنها رأته يتأبط جراباً مليئاً بالأفاعي ، وربما كانت قبيلته هي التي لقبته بهذا اللقب لكثرة ما كان يرتكب من جنايات وجرائر، أي إنه يحمل دائما في أطوائه شراً يريد أن ينفذه، ويظهـر أن أبـاه مات وهو صغير فتزوجت أمه بأبي كبير الهذلي، وكـان صـعلوكاً كبيـراً ، فخرجه علي شاكلته، وربما كان لسواده وتعييـر عـشيرته له به وبأنه ابن أمة أثر في تصعلكه وكان يرافق الشنفري في كثير من غاراته كما كان يرافقهما صعلوك آخر يسمي عمرو بن براق) [١]

ولهـذا الـشاعر أشـعار كثيرة في كتب الأدب كالأغاني ، والشعر والـشعراء وشرح شواهد المغني ، وخزانة الأدب ، إلا أنه ليس له

---

[١] العصر الجاهلي / شوقي ضيف صـــ ٣٧٧ .

ديـــوان شعر مطبوع ، ومن شعره الذي يرسم فيه صورة الصعلوك من أمثاله الذي يقدره ويجله:

لكنما عولي إن كنت ذا عـــول علي بعسير بكســـب الحمد سبـــاق
سباق غايات مجد في عشيرته فرجع الصوت هـــــداً بين إرفـــاق
حمال ألوية شهاد أنـــديـــــة قوال محكمـــة جـــواب آفـــــــاق
فذاك همي وغزوي أستغيث به إذا استغـــثن بضافي الـــرأس نعـــاق

ومن شعره الحكمي قوله :

إذا المرء لم يحتل وقد جـــد جده
أضاع وقاسي أمره وهو مدبـــر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا
به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

وشعره فيه سذاجة البدوي وفطرته، وتبدو فيه بعض خشونة المعاني والمباني " الألفاظ " كسابقه الشنفري.

(٣) عروة بن الورد

هـو عـروة بن الورد بن زيد العبسي ، شاعر جاهلي وفارس من فرسـان بني عبس احترف الصعلكة واتخذها باباً من أبواب المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين أفراد قبيلته وضعفائها ومن أجل ذلك لقـب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم , وهو من أشرف الصعاليك لأنه لم يغز للسلب والنهب كسابقيه الشنفري وتأبط شـراً، وإنمـا كانـت صـعلكته وكـان غزوه من أجل الفقراء والمرضي والضعفاء من قبيلته يقول د/شوقي ضيف نقلا عن كتاب الأغانـي : (كـان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة " أزمة جدب " شديدة وتركوا في ديارهم المريض والكبير والضعيف ، يجمع أشباه هؤلاء مـن دون الـناس مـن عشيرته في الشدة ثم يحضر لهم الأسراب، ويكـنف عليهم الكنف (الحظائر) ويكسبهم . ومن قوي منهم – إما مـريض يبـرأ مـن مرضه أو ضعيف تثوب قوته – خرج به معه فأغـار وجعـل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنـيمة كانـوا اغتنموها , فربما أتي الإنسان منهم أهله وقد استغني فلذلك سمي عروة الصعاليك) [١]

---

[١] العصر الجاهلي صـــ ٣٨٣ , الأغاني جـ٢ صـــ٧٨

وكثيــراً ما تترد في أشعاره المعاني الكريمة ، والأخلاق النبيلة التي إذا سمعها من يعرف لتلك المعاني والأخلاق حقها لا يملك أن يعجب بـــه أشد الإعجاب وسرعان ما تتحول الصعلكة في ذهنه إلى معنى قريب من الفروسية والمروءة وذلك مثل قوله :

إني امرؤ عافي إنائي شركــة وأنت امرؤ عافــي إنائك واحـــــد
أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بجسمي شحوب الحق ، والحق جاهد
أقرق جسمي في جسوم كثيرة وأحســو قراح الماء والمــاء بــارد

إنه يقسم طعامه بين الفقراء وذوي الحاجة على حين لا يشركك أحد في إنائك ولذلك سمنت أما أنا فصرت نحيلاً شاحب اللون .

هذه المعاني والأخلاق جعلت معاوية يقرأ شعره في العصر الأموي ويقول: (لو كان لعروة بن الورد ولد لأجبت أن أتزوج إليهم)

وأيضاً هذه المعاني والأخلاق جعلت عبد الملك بن مروان يقول :

(مــن زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد) وكان يقول أيضاً (ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عــروة بن الورد أي لو تمنيت أن يكون لي أب غير أبي لتمنيت أن يكون هو عروة بن الورد .

ومن أشعاره التي تجسد تلك الأخلاق والمعاني أيضاً :

قلت لقومي في الكنيف تروحوا عشية بتنا عند ماوان رزح [1]
تنالوا الغني أو تبلغوا بنفوسكم إلي مستراح من همام مبرح
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

والحقيقة أن عروة في عاطفته وغاياته وأخلاقه وشرفه قد استطاع أن يغير مفهوم الصعلكة ويجعلها نوعاً من المروءة بكل ما تحمله الكلمة من معان ، لأنه بكل بساطة استطاع أن يحقق فكرة التضامن الاجتماعي , أو ما نسميه نحن بالمفهوم العصري (الاشتراكية) وهي الفكرة القائمة علي الإيثار ومساعدة الغير وبخاصة المعوزين وذوي البؤس والشقاء والمحرومين .

---

[1] ماوان : اسم ماء رزح : مريض ضعفاء

المدرسة الثالثة : مدرسة عبيد الشعر

الشعر لغة الحياة ، وترجمان الحضارة ، وصوت الإنسان المعبر عن آماله وآلامه في كل عصر من العصور وعلي كافة المستويات .

وقـد كان للشعر دور عظيم في تسجيل مآثر العرب وحياتهم ورصد عاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم قبل ظهور الإسلام .

- وأمـام هذه المنزلة العالية للشعر والشعراء لم يملك التاريخ إلا أن يـسجل من صنوف هذا الفن وألوانه ما ليس له نظير في حياة غير العرب من الأمم .

ومن دلائل عظم الشعر عند العرب ، وجليل خطبه في قلوبهم أنه لما بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) بالقرآن المحكم المعجز ، أعجب قـريش مـا سمعوا منه وقالوا ما هذا إلا سحر ، وقالوا في النبي : شاعر نتربص به ريب المنون .

وقـد أدرك نقاد العرب أن الشاعر إنسان غير عادي يمتاز بأمرين :

أولهمـا : الفطـنة والذكاء والتنبه للمعاني التي لا ينتبه إليها سواه .

وثانـيهما : مقدرتـه علـى أن يصف ما فطن إليه ، وأن يبين عن شـعوره في عبارة واضحة ، وهذا ما عناه صاحب نقد النثر عندما قـال : (والشاعر من شعر يشعر شعراً ..... وإنما سمى شاعراً ،

لأنـــه يـــشعر مـــن معانـــي القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره)[١] .

ومـــن هنا ندرك أن النقد قد وضع الشعر في مرتبة رفيعة ، فكانت القبـــيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمـــة ، واجـــتمع النـــساء يلعـــبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، ودفاع عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج.

لهذه المنزلة للشعر وللشعراء نجد أن مجموعة من الشعراء قد بالغوا فـــي تجويد قصائدهم وتحبيرها إلي حد كبير حتي إن بعض القصائد كانـــت تظل عند أصحابها من الشعراء حولاً كاملاً ليغير فيها وينقح ويراجع حتي يصل بها إلي درجة عالية من الإتقان والجودة عرفت هذه القصائد بـــ " الحوليات "

- ومـــن هنا جاءت فكرة أو تسمية " عبيد الشعر " ، والذين أطلقوا هـــذه التـــسمية " عبيد الشعر " هم النقاد لأنهم شبهوا الشعراء الذين ينـــشئون القـــصائد ثـــم يراجعونها ويغيرون فيها حولا كاملاً بأنهم يتعـــبدون لهذه الأشعار فيظلون في خدمتها عاماً تاماً . فكأنهم بذلك رقيق عندها وخدم لها .

---

[١] نقد النثر صـــ٧٧

- مـــن الشعراء الذين أطلقت عليهم هذه التسمية في العصر الجاهلي زهير ، والنابغة ، والحطيئة ، والنمر بن تولب ، وطفيل، يقول ابن رشيق : (وكان الأصمعي يقول : زهير والنابغة من عبيد الشعر ، يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما .

ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوي

وقد قيل : إن زهيراً روي له ، وكان يسمي " محبرا " لحسن شعره .

ومنهم الحطيئة ، والنمر بن تولب ، وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء الكـــيس ، وكـــان بعض الحذاق بالكلام والماهرين به يقول : قل من الـــشعر مـــا يخدمك ، ولا تقل منه ما تخدمه ، وهذا هو معني قول الأصمعي) [1]

وربمـــا كان دافع الشعراء إلي التحبير والتحكيك والمراجعة والإجادة هـــو أن ينالوا رضا الممدوحين وعطاياهم ، لذا لجأ هؤلاء الشعراء إلـــي شـــحذ همـــتهم ، وصقل أذهانهم ، وتهذيب بيانهم ، ومراجعة أفكـــارهم ، هـــذا كله عاد علي الشعر عامة ، وشعر المديح خاصة بالجـــودة والإتقان والتنقيح وخلوه من العيب إلا أنه في الوقت نفسه أصاب الشعر بكثير من التكلف والصنعة والافتعال ، كما أنه حط من قدر الشاعر لأنه تكسب به وجعله وسيلة للاستجداء وطلب الهبات .

---

[1] العمدة حـــ١ صـــ١٣٣ بتصرف

ولهذا عاب بعض الشعراء هذه الطريق من التكلف والصنعة للأشعار وقال يكفيك من القول ما تصيب به غرضك فقال :

من القول ما يكفي المصيب قليله ومنه الذي لا يكفي الدهر قائلـــه
يصد عن المعني فيترك ماثحـــاً ويذهب في التقصير منه يطاوله
فلا تك مكثاراً تزيد علي الـــذي عنيت به في خطب أمر تزاولـــه

ومـــع أن بعض النقاد قد عاب تلك الطريقة من خدمة الشعر وشحذ القريحة له وتعاطيه عن قصد لا عن طبع ، إلا أننا وجدنا في العصر الإسلامي من الشعراء من سلك هذه السبيل فجعل يتعب نفسه وعقله وخاطـــره في قول معني معين قاله شاعر آخر ، ومن هنا جاءت ما يسمي بـــ " السرقات الأدبية " أو التقليد ، أو التضمين أو المعارضة ..... إلخ ، وكان من الشعراء الإسلاميين الذين سلكوا هذا المسلك ، أبو نواس (الحسن بن هانئ) وأبو تمام الطائي (حبيب بن أوس) وغيرهما .

المدرسة الرابعة مدرسة شعراء القرى العربية
(مكة – المدينة – الطائف)

– مكـــة " البلد الحرام " هي واد من أودية جبال السراة ، وتقع بين الـيمن والـشام لذا كانت ممسكة بزمام التجارة وقوافلها في العصر الجاهلـي فـصارت ملتقـي القوافل ، ومهجر القبائل مع أنها جبال جرداء من كل جانب ، وقد وصفها الله في قرآنه بأنها (واد غير ذي زرع) إلا أن بهـا بـيت الله الحرام الذي كانت تعظمه كل القبائل الجاهلـية وتـضع حوله أصنامها وتطوف به وبها ، وزادها تعظيما وتقديساً في نفوس العرب فشل الحملة التي قادها أبرهة الحبشي والي الحبشة علي اليمن حينما حاول أن يستولي عليها سنه ٦٧٠ أو ٦٧١م ومنذ ذلك الحين أصبحت مكة رمزاً لاستقلال العرب وعزتهم وقوتهم وذلك لأنها لم تكن تحت إمرة أي ملك أجنبي .

– وكـان أهل مكة أشرف العرب ، وكانت كثير من القبائل تعترف لهـم بالـسيادة وذلك لأنهم كانوا يرعون الكعبة ويخدمون البيت وما حـوله من أصنام وأوثان ، كما كانت أكثر تجارة الشمال والجنوب تنـزل بها . هذا كله يؤكد مكانتها وزعامتها علي العرب فهي بيت كعبـتهم المقدسـة وبيت تجارتهم ، وبيت أسواقهم سواء التجارية أو الأدبـية " عكـاظ " ومجـنة ، وذي المجاز " لذلك عظم شأنها في الجاهلـية ، ومـع ما كان للمناذرة والغساسنة ولكسري وغيرهم من الملـوك والأمـراء مـن مكانة فإن كثير من العرب كان يري سادة

قريش فوق هؤلاء جميعاً ؛ بهذا كله كانت مكة أهم مدينة عربية في الجاهلية إذ كانت مثابة للناس وأمنا حيث تتمتع فيها القبائل والعشائر بالحرية التامة وتسير شئونهم حسب قوانين العرف والعادة .

أما الطائف فقد كانت تقع في الجنوب الشرقي لمكة ، ولكنها تختلف عنها اختلافاً كليا من حيث الزراعة والثمار والكلأ ، فقد كانت مليئة بالرياض والبساتين التي جعلتها أشبه ما تكون بقطعة من رياض الشام ، وكانت مشهورة بطيب الهواء ، والخمر الصافية . وكانت تقطنها قبائل ثقيف الوثنية التي استقرت فيها كما استقرت قريش في مكة .

وأما المدينة " يثرب " فتقع شمالي مكة ، في واد خصب تحيطة المرتفعات ، وتكثر بها العيون والآبار وتكسوه الأشجار والزروع والنخيل ، مع الجو المعتدل فأصبحت كواحة جميلة وكان يقطنها اليهود ، وظلوا مسيطرين عليها فترة طويلة إلي أن جاءت قبائل الأوس والخزرج من الجنوب فأصبحوا هم سادة المدينة مع أنهم وثنيون ، وكانت حياتهم لا تختلف عن حياة البدو في شئ ، وكان اليهود يعملون علي الوقيعة ونشر العداوة بينهم حتي يشغلوهم عنهم ، وكانوا يصنعون لهم السلاح الذي يتقاتلون به وكانت هناك قري خاصة لليهود في يثرب منها خيبر وتيماء وفدك ، وما زالوا بها حتي أخرجهم عمر بن الخطاب من الجزيرة فأصبحت عربية خالصة .

وكـــان من أشهر شعراء القرى : أمية بن أبي الصلت ، السموأل ابن عادياء ، وأخوه شعية بن عادياء .

من شعراء القرى

(١) السموأل بن عادياء

هـــو أبـــو شـــريح السموأل بن عادياء ، من يهود يثرب ، وكان شاعراً فصيحاً مقداماً جواداً عالي الهمة ، سريع النجدة ، شريف القـــول والفعل وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء بين الحجـــاز والـــشام ، وكانـــت العرب تنزل فيه فيضيفها ، وكانوا يقيمون هناك سوقاً ومن قوله في حصنه :

بني لي عاديا حصناً منيعـــاً وماء كلما شئت استقـــيـــت

وأوصي عاديا يوما بأن لا تهدم يا سموأل ما بنيـــــت

وحـــدث أن نزل امرؤ القيس علي السموأل ، وكان قاصداً قيصر في القسطنطينية ، فأودع امرؤ القيس عند السموأل دروعاً كانت ملـــوك كـــندة يتوارثونها ملك عن ملك ، ورحل امرؤ القيس في وجهته وجاء الحارث بن أبي شمر الغساني من قبل المنذر ليأخذ مـــن السموأل ما أودعه امرؤ القيس من مال ودروع ، فتحصن الـــسموأل منه ، وأبي أن يسلم الدروع ، فقبض الحارث علي ابن للسموأل كان قد خرج إلي الصيد ، ونادي بالسموأل أتعرف هذا : قـــال : نعـــم هـــذا ابني ، قال : أتسلم ما عندك أم أقتله ، قال له

السموأل : شأنك به فلست أخفر في ذمتي ، فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه شطرين وانصرف ، فقال السموأل :

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما ذم أقوام وفيت

فضرب به المثل في الوفاء ، ومن شعره الدال علي كرم خلقه ومروءته وشهامته قوله مفتخرا :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل علي النفس ضيمها

فليس إلي حسن الثناء سبيل

تعيرنا أنا قليل عديدنا

فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا

عزيز وجار الأكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره

منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثري وسحابه

إلي النجم فرع لا ينال طويل

يقرب حب الموت آجال لنا

وتكرهه آجالهم فتطول

تسيل على حد الظبـــات نفوسنـــــــا

وليست على غير الظبات تسيل

وننكر إن شئنا على الـــناس قولهـــم

ولا ينكرون القول حين نقـــول

وأسيافنا في كـــل شـــــرق ومغـــرب

بها من صراع الدارعين فلـــول

سلي إن جهلـــت الناس عنا وعنهـــم

فليس سواء علم وجهـــــــول

(٢) أمية بن أبي الصلت

هــو أبو عثمان أمية بن أبي الصلت الثقفي ، كان تاجراً يمارس الــتجارة طوال عمره ، وكان مفطوراً على التدين ، وفي بعض أســفاره التقي ببعض القسيسين والرهبان فسمع شيئاً من الأسفار الأولي فالتمس الدين ، ولبس المسوح ، وحرم الخمر ، وشك في الأوثان ، وطمع في النبوة ، وقال في دين إبراهيم :

كل دين يوم القيامة عند اللــ ــه إلا دين الحنيفــة زور

أي كــل الأديان زور عند الله إلا دين الحنيفية وهي دين إبراهيم عليه السلام .

فلما بعث الرسول " صلي الله عليه وسلم " بهت الرجل وسقط في يــده ، وكفر بالنبي حسداً وقال : إنما كنت أرجو أن أكونه فنزل فــيه قــول الله تعالي : (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) .

ثــم أخذ يحرض علي الرسول ، فنهي الرسول عن رواية شعره فــي ذلــك وكان الرسول إذا سمع شعره في التوحيد يقول : آمن لــسانه وكفــر قلبه ، ثم فر أمية بابنته إلي أقصي اليمن ، وهناك وافــته المنــية ، وقد قال لما أخذته غشية الموت وأفاق منهما : لبيكما لبيكما! هأنذا لديكما ، لا مال يفديني ، ولا عشيرة تنجيني !

إن تغفر اللهم تغفر جما ، وأي عبد لك إلا ألما ؟ ثم أقبل علي من حضر وقال :

كل عيش وإن تطاول دهـــــــراً

منتهـــــي أمره إلـــــي أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لـــــــي

في رؤوس الجبال أرعي الوعولا

اجعل الموت نصب عينيك واحذر

غولـــــة الدهر إن للدهـــر غولا

شعـــره

اشـــتهر أمـــية بـــن أبـــي الصلت بالشعر ذي المعاني الدينية ، فانـــصرفت إليها قريحته واصطبغ بها شعره ، فقد وصف الله ، وذكـــر الحـــشر وأهواله ووصف الجنة والنار والملائكة ، ونظم حوادث التوراة كقصة إسحاق وإبراهيم ، وأدخل في الشعر معاني وأساليب وألفاظ ، وتراكيب لم يألفها الشعراء ، ولم يعرفها العرب بعـــضها من العبرية وبعضها من محدثاته ، فكان يسمي الله عز وجـــل بالـــسلطيط ، والتغـــرور ، ويـــسمي السماء بالصاقورة والحاقورة ، ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه يوم الخسوف اسمه الساهـــور ، ولذلك كان اللغويون لا يحتجون بشعره .

ومن شعره يعاتب ابنا له كان قد عقه :

غذوتك مولودا ومنتـــك يافعـــا
تعـــــل بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبـــت
لشكـــــواك إلا ساهرا أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني ، فعيني تهمل

تخاف الردي نفسي عليك وإنني
لأعلـــــم أن الموت حتم مؤجل

لما بلغت السن والغاية التـــــي
إليهـــا مدي ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظـــــة
كأنـــــك أنت المنعم المتفضل

ومن قوله :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا
بالحمد صبحنـــا ربـــي ومسانا

رب الحنيفية لم تنفد خزائنه
مملوءة ، طبق الآفاق سلطانـــا

ألا نبي لنا منـــا فيخبرنـــــا
ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا
أن سوف يلحق أخرانا بأولانـــا